14
كتاب الإسلام اليوم

فضيلة الشيخ الدكتور
سلمان بن فهد العودة

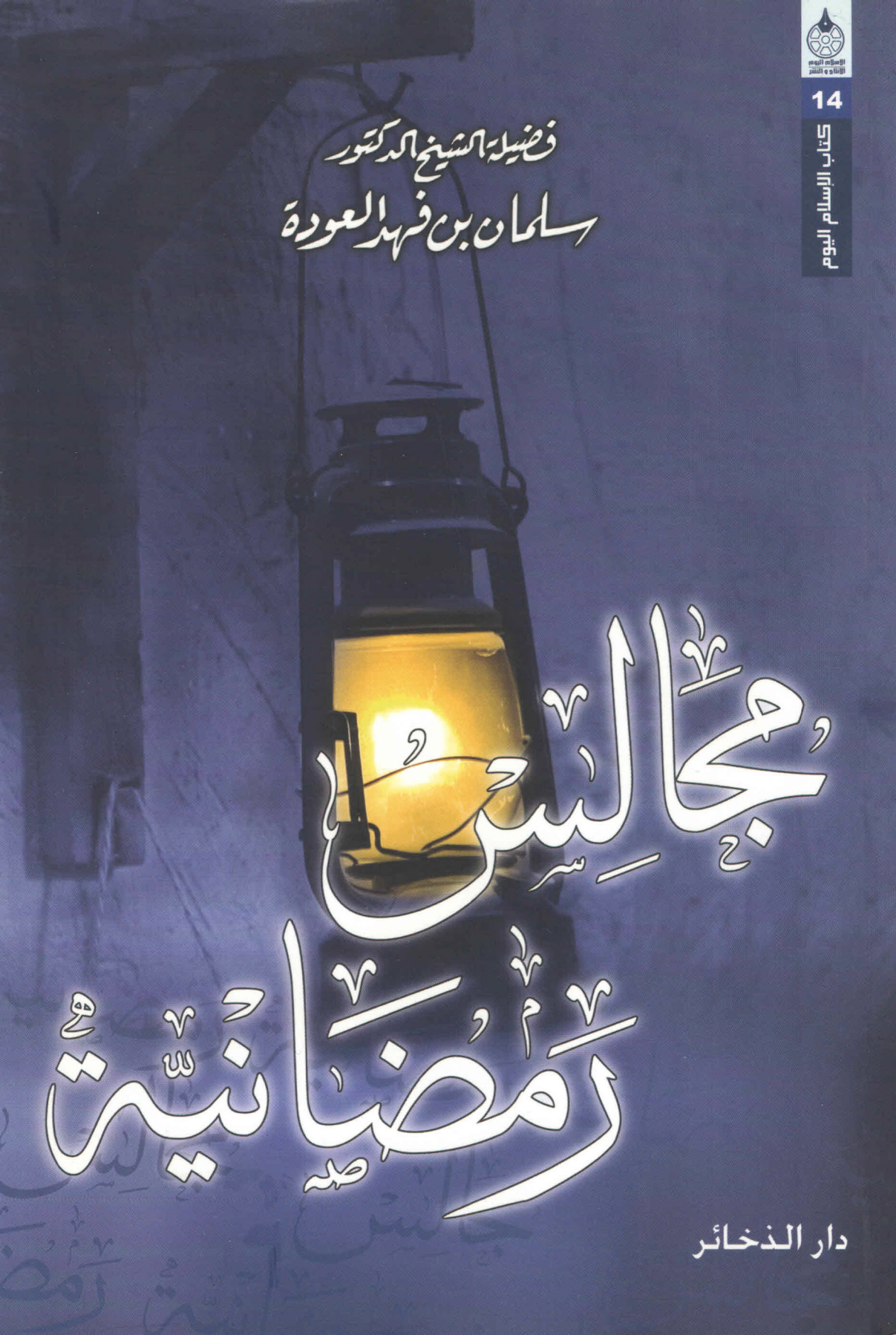

مجالس رمضانية

دار الذخائر

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة إصدارات
الاســـلام اليـــوم
الإنتـــاج والنشـــر

الطبعة الأولى 1427هـ

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الإسلام اليوم للنشر 1427هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
مجالس رمضانية/ سلمان بن فهد العودة الرياض 1427هـ
1- الصوم 2- شهر رمضان أ. العنوان
ديوي 252, 2
رقم الإيداع: 1427/3233
ردمك: 9960-52-901-0

صورة الغلاف: فهد باهدى

رؤية إخراجية : علي بن مبارك المحمدي

الإسلام

مؤسسة الإسلام اليوم
www.islamtoday.net
المملكة العربية السعودية
الرياض
ص.ب 28577
الرمز 11447

الرياض:
هـ: 01 20 81 920
ف: 01 20 81 902

جدة:
هـ: 02 67 51 133
ف: 02 67 51 144

بريدة:
هـ: 06 38 26 465
ف: 06 38 30 053
info@islamtoday.net

الناشر

دار الذخائر للنشر والتوزيع
هـ: 03 89 31 158
03 89 41 136

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه أحاديث منوّعة، وهي - على تنوعها - ذات صلة بشعيرة الصيام وبشهر رمضان المبارك، متضمنةٌ لمعاني هذه العبادة الفاضلة ومقاصدِها، بل كان القصد إليها أكثر، والاعتناء بها أكبر في أحاديث هذه المجالس الثلاثين، حتى لا تصبح عباداتنا مجرد شعائر ظاهرة، لا حياة فيها لمعاني العبادة ومقاصدها، فإنما العبرة في كل عبادةٍ بالمقاصد والمعاني، لا بالمظاهر والمباني. والشرع له في كل عبادة مقاصد يهدف إليها، وحِكَمٌ يبتغيها، وما يريده من تشريعه للعبادة أبعدُ من مجرد الحركات والسكنات، فكان حرياً بالمسلمين أن يُحيوها بينهم، وأن يتفقّهوا فيها، كي يعيشوا العمق الروحي والتعبدي لشهر رمضان المبارك.

إن شهر رمضان دورة إيمانية مكثفة، يتقلب المسلم فيها بين أنواع من العبادات: صيام، وصلاةٍ، وصدقةٍ، وقراءةِ قرآن.. ومتى ما حصل الوعي والتفقه بمرامي هذه العبادات وأدائها على الوجه الصحيح أثمرت ثمرتها في النفس، وتحقق أثرها في الحياة ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة:١٨٣].

لقد كان شهر رمضان وعاء لحوادث عظيمة، ومناسباتٍ مباركة على أمة محمد ﷺ، ومن أعظمها نزول القرآن ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة:١٨٥] الآية، وتواكبت الحوادث المباركة في هذا الشهر من غزوة بدر إلى فتح

مكة، فهو شهر الذكريات العظيمة والعميقة الأثر في حياة الأمة، كما هو شهر الليالي الفاضلة التي يتعرض المؤمن فيها لنفحات الله؛ كالليالي العشر وليلة القدر.

وكل ذلك يستوجب من المسلم حفاوة خاصة بشهر رمضان المبارك، وإن أقوى البواعث على ذلك التفقه في معاني هذه العبادة، وإدراك فضائل هذا الشهر؛ حتى يكون موقعه من المسلم بالمقام المحمود اللائق.

ولقد تابعت نشر هذه الكلمات في موقع (الإسلام اليوم) وصحيفة (الجزيرة)، ثم رأيت من المناسب جمعها في كتاب ليكون الانتفاع بها أكثر وأجدى، سائلاً الله ﷻ أن ينفع بها ويجعلها خالصة لوجهه الكريم. والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مرحبا!

« قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ » [يونس:٥٨]

يفرح المؤمنون الطائعون المخبتون برمضان وقدومه لأسباب، منها:

- أنه شهر يربُّون فيه أنفسهم على الصبر عن الشهوات.

- ويفرحون لأنهم يتذكرون الانتصارات والفتوح؛ فشهر رمضان شهر النصر لأمة الإسلام.

- ويفرحون لأنه يجدد فيهم الأمل؛ في عودة المسلم لربه، وعودة الأمة لسالف أمجادها.

- ويفرحون لعلمهم بما أعده الله فيه من الثواب الجزيل، والعطاء العظيم، ومضاعفة الحسنات، وتكفير الخطايا والسيئات.

- ويفرح المؤمنون برمضان لصلاة التراويح، وبقول النبي ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»[1].

- ويفرح المؤمنون برمضان لقيام ليلة القدر، وبقول النبي ﷺ: «من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»[2].

---

(١) البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

(٢) البخاري (٣٥)، ومسلم (٧٦٠).

- ويفرح المؤمنون برمضان؛ للعلم، وتلاوة القرآن، والذكر، والتفكر، والتأمل ومضاعفة الأجر والصدقة، والروحانيات التي ينبعث أريجها في كل مكان، وانشراح الصدر، والطمأنينة، والخير، والفضل ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ [يونس:٥٨].

وعلى حين يفرح المؤمنون برمضان، وتنشرح نفوسهم، وتسمو أرواحهم؛ ينقبض منه آخرون، ويعتبرونه سجناً، تستوحش منه أجسادُهم، وتنفر منه أرواحُهم؛ إذْ لا يعدو رمضان عندهم أن يكون حرماناً من حظوظ النفس، وشهوات الجسد، ولذا تراهم إذا اقترب رمضان يقول قائلُهم:

إذا العشرونَ من شعبانَ ولَّتْ ... فَواصِلْ شُرْبَ ليلِك بالنَّهارِ

ولا تشرب بكاساتٍ صِغارٍ ... فإنَّ الوقت ضاقَ عن الصَّغارِ

فهؤلاء يستثقلون الشهر ويستعظمون مشقَّته؛ فإذا نزل بهم فهو كالضيف الثقيل، يعدُّون ساعاته وأيامه ولياليه، منتظرين رحيله بفارغ الصبر؛ ولهذا أسباب منها:

أنهم اعتادوا التوسع في الملذات والشهوات: من مآكل، ومشارب، ومناكح وغيرها، فضلاً عن مقارفتهم للذات المحرمة؛ فرمضان حبسهم عن شهواتهم، وحال بينهم وبين ملاذهم فاستثقلوه.

ولأنهم قوم عظم تقصيرهم في الطاعات، حتى إن منهم من قد يفرط في الفرائض والواجبات كالصلاة مثلاً؛ فإذا جاء الشهر التزموا بعض الطاعات، وشهدوا الجمع والجماعات، وواظبوا على الصلاة كل يوم؛ فثقل عليهم حمل الشهر فتبرموا منه.

يجلس المرء منهم ساعات طويلة في سمر وسهر حتى الفجر، ثم في نوم عميق متصل حتى الظهر، فإذا قام إلى الصلاة حضرت الأشغال، واشتدت الأعصاب،

وتذكر المواعيد، وغنت الهموم فوق رأسه حتى يصلي عَجِلاً، ولا يكاد يفقه كم صلَّى؟!

التهنئة بدخول رمضان:

التهاني من العادات، والأصل فيها الإباحة؛ سواء في ذلك رمضان أو العيد أو عند تجدد نعمة أو دفع نقمة.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «هذه المسائل وما أشبهها مبنية على أصل عظيم نافع، وهو أن الأصل في جميع العادات القولية والفعلية الإباحة والجواز، فلا يحرم منها ولا يكره إلا ما نهى عنه الشارع، أو تضمن مفسدة شرعية، وهذا الأصل الكبير قد دل عليه الكتاب والسنة في مواضع، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره...، والعادات والمباحات قد يقترن بها من المصالح والمنافع ما يلحقها بالأمور المحبوبة لله، بحسب ما ينتج عنها وما تثمره، كما أنه قد يقترن ببعض العادات من المفاسد والمضار ما يلحقها بالأمور الممنوعة، وأمثلة هذه القاعدة كثيرة جداً».

وقال ابن القيم رحمه الله تعليقًا على قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا:

«وفيه دليل على استحباب تهنئة من تجدَّدت له نعمةٌ دينية، والقيام إليه إذا أقبل ومصافحته، فهذه سنة مستحبة، وهو جائز لمن تجددت له نعمة دنيوية، وأن الأولى أن يقال له: ليهنك ما أعطاك الله، وما منَّ الله به عليك، ونحو هذا الكلام؛ فإن فيه تولية النعمة ربَّها، والدعاء لمن نالها بالتَّهنِّي بها»[1].

والجمهور من الفقهاء على أن التهنئة بالعيد لا بأس بها، وهو أشهر الروايات عن الإمام أحمد رحمه الله[2]، وذهب بعضهم إلى مشروعيتها.

(١) زاد المعاد (٣/ ٥١١).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٢١٩).

وقال ابن قدامة رحمه الله:

«قال أحمد رحمه الله: ولا بأس أن يقول الرجل للرجل يوم العيد: تقبل الله منا ومنك. وقال حرب: سئل أحمد عن قول الناس في العيدين: تقبل الله منا ومنكم، قال: لا بأس به، يرويه أهل الشام عن أبي أمامة، قيل: وواثلة بن الأسقع؟ قال: نعم. قيل: فلا تكره أن يقال هذا يوم العيد. قال: لا.

وذكر ابن عقيل في تهنئة العيد أحاديث منها: أن محمد بن زياد قال: كنت مع أبي أمامة الباهلي وغيره من أصحاب النبي ﷺ، فكانوا إذا رجعوا من العيد يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك. وقال أحمد: إسناد حديث أبي أمامة إسناد جيد. وقال علي ابن ثابت: سألت مالكَ بنَ أنس منذ خمسٍ وثلاثين سنة وقال: لم يزل يُعرف هذا بالمدينة»[1]. ولا شك أن رمضان وقدومه من أفضل النِّعم.

الاستعداد لرمضان:

كل المسلمين يستعدون لرمضان، فمنهم من يستعد لرمضان بإخلاص القلب، وتصحيح النية، والإقبال على العبادة، وتجريد القصد لله تعالى، والعزم على التوبة.

ومن الناس من يستعد لرمضان بألوان الأطعمة والأشربة والمأكولات، كما يفعله الكثير، والقدر المعتدل من هذا حسن، فإن التوسعة على النفس والأهل خلق الكرام، وإنما يُفرَح بالمال لهذا، وللإحسان والكرم والجود.

ومنهم من يستعد لرمضان ببرنامج خاص -كما يفعل الإعلاميون- يحتوي على المواد المتنوعة التي يخاطب بها الناس ويوجِّهون توجيهًا معينًا، وإذا كان يقدم للناس في غير رمضان المسرحية المنحرفة والتي يمثلها فلان وفلان، وتدرب على المعاني الرديئة، فإنه في رمضان قد يقدم لهم المسرحيات التي يظهر فيها ذلك الممثل نفسه يؤدي دور

(١) المغني (٢/ ٢٥٠).

خالد بن الوليد، أو صلاح الدين الأيوبي، أو غيرهم من أبطال الإسلام وعظماء التاريخ، حتى يظن الناس أن أولئك كانوا كهؤلاء، ويلتبس الأمر عليهم، وتتحول الحقيقة إلى خيال، ويتحول الجدُّ إلى هزل؛ فضلاً عن أن بعض القنوات تسير عكس الاتجاه، وتحاول انتهاك قدسية الشهر وحرمته بعرض الأجساد العارية، وانتخاب الوجوه الحسنة، ولعمر الله لقد صُفِّدت الشياطين ومردة الجن؛ فمن يكون هؤلاء؟!

ومن الناس من يستعد لرمضان باللهو واللعب، كما نجده في كثير من البلاد في ألوان المباريات الكروية والدورات الرياضية، وإذا سهر الإنسان الليل كلَّه يشاهد الكرة؛ فماذا تراه سيصنع في نهاره؟! هل سيدرس؟! هل سيتعلم؟! هل سيقرأ القرآن؟! هل سيتعبَّد لله تعالى؟! هل سيصلي الصلوات الخمس مع المسلمين؟!

والرياضة المتوازنة التي بها حفظ البدن، والاستعداد لمواجهة صروف الحياة مطلب، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «علموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل»؛ لكن المذموم شيئان:

١ - الإسراف والمبالغة وإضاعة الأوقات.

٢- وضع الشيء في غير موضعه.

ومن الشباب من يستغلون ليل رمضان في تنظيم دوريات خاصة بهم في عدد من الأحياء والأماكن والملاعب تستغرق جُلَّ الليل، مصحوبة باللغو والتشاتم والصياح والعصبية والغضب، وربما كان أجمل ما يذكرهم برمضان ويربطهم به هي تلك الأنوار الكاشفة، وتلك الملاعب الليلية، وتلك الدوريات وما أشبهها، مع أنه جدير بشباب الإسلام أن يدرك حجم المؤامرة التي يدبرها له أعداء الإسلام، وأن لا يقبل ضياع العمر والوقت والجهد من غير طائل.

نعم! قوة البدن من مقاصد الشريعة، والترفيه المنضبط لا تثريب فيه، بيد أن لكل

شيء حدوداً، ولكل وقت وظيفة مناسبة.

إنه جدير بالمسلم أن يحقق معنى الصيام ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣].

فإذا لم يدع الإنسان قولَ الزور والعملَ به، وشهادةَ الزور، واللغو والرفث؛ فأي سبب يدعوه إلى الصيام إذن؟! إن الله تعالى ليس بحاجة إلى أن يدع هذا الإنسان طعامه وشرابه؛ سواء ترك الزور أم لم يتركه؛ وبهذا يُعلم أن الصوم لله في نيته وقصده وأجره، ولكنه للعبد خالصاً في ثمرته وعائدته وفائدته.

أيُّها الصَّائم!

جدير بك أن تنتبه من غفلتك، فكأنك والله بالموت وقد أتاك فجأة، فيئس منك الطبيب، وفارقك الحبيب، وبكى عليك كل قريب.

فطوبى لمن بادر عمرَه القصير، وتهيأ للحساب قبل فوات القدرة وإعراض النصير.

كان الحسن يقول: «عجبت لأقوام أمروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل، وجلس أولهم على آخرهم وهم يلعبون».

وقال أبو حازم: «إن بضاعة الآخرة كاسدة، فاستكثروا منها في أوان كسادها، فإنه لو جاء وقت نفاقها لم تصلوا فيها إلى قليل ولا كثير».

وكان أبو بكر بن عياش يقول: «لو سقط من أحدكم درهم لظلَّ يومَه يقول: إنا لله ذهب درهمي، وهو يذهب عمرُه، ولا يقول: ذهب عمري، وقد كان لله أقوام يبادرون الأوقات، ويحفظون الساعات، ويلازمونها بالطاعات».

أخي الصائم! هي فرصة، فلعلك قد لا تدرك رمضان غير هذا.

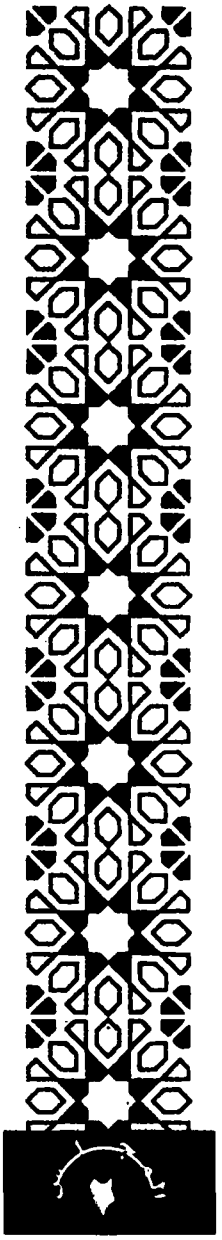

كتب عليكم الصيام

» «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» [البقرة:١٨٣-١٨٤]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة:١٨٣] هذا خطاب للمؤمنين، وغير المؤمن بحاجة إلى خطاب آخر؛ فيخاطب بالإيمان بالله وبالرسل وبالقرآن؛ فإن آمن أُمر بتكاليف هذا الخطاب، ولذا غالباً ما ورد خطاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة:٢١] في العهد المكي، وخطاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ في العهد المدني، وإن كان يرد أحياناً هذا وهذا.

وقوله ﷻ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ﴾ [البقرة:١٨٣] هذا اللفظ من إعجاز القرآن، فلأول وهلة يعلم منها قارئ الآية أن الصيام فرض على هذه الأمة، بخلاف التوراة والإنجيل، فرغم أن الله ﷻ كتب عليهم الصيام، إلا أنك لا ترى ذلك في كتبهم بصيغة الإلزام والأمر، إنما هو مدح وثناء فقط له ولأهله، ولا تجد تصريحاً بالإلزام، ولعل ذلك مما حرف في كتبهم.

قوله تعالى: ﴿ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة:١٨٣] الصيام والصوم مصدران يدلان على الإمساك والركود، قال تعالى: ﴿ فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم:٢٦]، وهو هنا الإمساك عن الكلام.

والصوم: هو الإمساك عن المفطرات، في وقت مخصوص، من شخص مخصوص مع النية.

وقد كان الصوم بمعنى الإمساك عن الطعام والشراب معروفاً عند العرب في الجاهلية، فقد كانوا يصومون يوم عاشوراء، ففي الصحيح عن عَائِشَةَ ﵂ قالت:

«كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبي ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما نزل رمضان كان رمضان الفريضة، وترك عاشوراء، فكان من شاء صامه، ومن شاء لم يصمه»(١)، ولا يسمى صياماً إذا امتنع عن بعض الأطعمة أو الأشربة أو عن النساء فقط، كما كان موجوداً عند العرب، أو كما يفعله من يسمون بالنباتيين، أو أصحاب الحمية، أو كما هو الحال عند بعض أهل الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة:١٨٣]، يصح أن يشمل ظاهر الآية كل من سبقنا من آدم إلى عيسى عليهما السلام، وليس اليهود والنصارى فقط، وأن كل من سبقنا كانوا يصومون؛ لكن لا يلزم أن يكون صومهم هو نفس صومنا الشرعي، بمعنى الإمساك عن شيء مخصوص في وقت مخصوص، ولا أن يكون فرض عليهم شهر رمضان، وإنما المقصود فرض عليهم أصل الصيام لا صفته.

وقوله ﷻ: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة:١٨٣]، التقوى تبدأ بالإيمان والإسلام، فمن آمن وأسلم فقد اتقى الكفر واتقى عذاب الله، فإذا صام فقد حقَّق ركناً من أركان الإسلام، وحقَّق قدراً من التقوى، ولو كان في صومه بعضُ التخريق والخلل، كما في الصحيح: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ»(٢)، وفي بعض ألفاظه عند النسائي وغيره: «مَا لَمْ يَخْرِقْهَا»(٣).

من فوائد الآية:

الأولى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ﴾ [البقرة:١٨٣] أي: فرض عليكم الصيام، وهذه الآية أصل في وجوب صيام رمضان، وقد أجمع أهل العلم كافة على أنه يجب على كل مسلم أن يصوم شهر رمضان، ومن أنكر وجوبه أو جحده فهو مرتد، إلا أن يكون جاهلاً أو حديث عهد بالإسلام.

---

(١) البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٢٥).

(٢) البخاري (١٧٩٥)، ومسلم (١١٥١).

(٣) النسائي (٢٢٣٣).

وَالأَصل في وجوبه الكتاب والسنة والإجماع: أَمَّا الكتاب فقول الله تعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [البقرة:١٨٣] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾ [البقرة:١٨٥]. وأَمَّا السنة فقول النَّبِيِّ ﷺ في الحديث المتفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «بنيَ الإسلام على خمس»[1]، وذكر منها: «صوم رَمَضَانَ».

الثانية: أن الصيام كتب على الذين من قبلنا من الأمم السابقة.

الثالثة: أن من أسرار الصيام وآثاره: التربية على التقوى، فإن الله ﷻ لم يشرع العبادة لنتعذب بها، أو يصيبنا منها الحرج والمشقة بالامتناع عما نشتهي، ولكن لحكمة التربية على مراقبة الله ﷻ في السر والعلن والصبر على ذلك، وأن نترك الشيء لأجله سبحانه، حتى لو كان محبوباً مشتهى في النفوس.

فالتربية على الأخلاق الحميدة لا تخلو من حمل المرء نفسه على مخالفة شهوات كثيرة، ففي مخالفتها تعب يقتضي الصبر عليه، حتى تصير مكارم الأخلاق ملكة لمن راضَ نفسَه عليها، وما أروع قول القائل:

إذا المرءُ لم يترك طعاماً يحبُّه ... ولم ينْهَ قلباً غاوياً حيث يمَّمَا

فيوشك أن تلفى له الدهر سُبَّةً ... إذا ذكرت أمثالها تملأ الفَمَا

فمن امتنع عن مشتهى نفسه من أكل وشرب وغيره مما أحله الله طاعة لربه، وقُربة له وتعبداً؛ حريٌّ به أن يتولد في قلبه نفورٌ وابتعادٌ عما هو محرم في الأصل، وإلا فما معنى أن يترك الصائم ما طاب مما أحلَّه الله من طعام وشراب وغيره، ثم هو يقع في غيبة ونميمة، وسوء ظن، وعقوق، وشتم وسب، وغير ذلك مما حرمه الله في رمضان

(١) البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

وغيره؟ وفي الصحيح: «من لم يَدَعْ قول الزُّور والعملَ بِهِ فليس لله حاجةٌ في أن يدعَ طعامَهُ وشرابه»[1].

الرابعة: من تأمل سورة البقرة وجد سياقاً طويلاً وآيات فسيحة تتحدث عن اليهود وأحياناً عن النصارى؛ فتذكر جدل اليهود، وتلاعبَهم وتلومَهم وعنادَهم، وقتلَهم أنبياءهم واختلافَهم عليهم، وهذا أول مقدم الرسول ﷺ إلى المدينة، ثم يذكر الله ﷻ في وسط ذلك كله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة:١٨٣]، فما سرُّ ذلك مع أن المسلمين لم يكونوا في حالة ارتياح أو أنس مع من كانوا قبلهم؟

الظاهر -والله أعلم- هو تربية المسلمين على الفرز والفصل والعدل في التعامل، وتأمل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [المائدة:٨]، وقوله: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴾ [الإسراء:١٥]، وقول النبي ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قد صدقك وَهو كذوبٌ»[2]، وأن المسلم أولى باتباع الحق من غيره، وأن من كره أحداً فلا يجحد ما عنده من خير وفضل، وهذا كقوله سبحانه: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ [البقرة:١٥٨].

فالطواف إما ركن أو واجب، وقد كانوا في الجاهلية يطوفون عند الصفا والمروة، ويهللون لأصنامهم؛ فتحرج المسلمون أن يفعلوا ذلك وتوقفوا فيه، فذكر الله سبحانه أنه لا جناح عليهم في ذلك، وإن كان موجوداً في الجاهلية، إلا أنه من آثار الأنبياء.

ومثله صوم المسلمين لعاشوراء، فاليهود كانوا يصومونه ويعظمونه، فقد ثبت في الصحيح أنه لما قَدِمَ النَّبِي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء قال: «ما

(١) البخاري (١٨٠٤).

(٢) البخاري (٣١٠١).

هذا؟». قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى. قال: «فأنا أحق بموسى منكم»، فصامه وأمر بصيامه[1].

الخامسة: قوله ﷻ: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٣]، فيه تعظيم وبيان لأهمية شعيرة الصيام، فإن الله ﷻ لا يشرع شيئاً لجميع الأنبياء والرسل والأمم السابقة إلا ويكون عظيماً ومهماً؛ ولهذا اتفق جميع الرسل والأنبياء على الدين العام، وإن اختلفت تفاصيل الشرائع، وفي الصحيحين: «الأنبياء إخوة لِعلَّات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[2]، ومن هذا الدين العام الصوم؛ فيشعر المسلم أنه يؤدي شعيرة عظيمة، اتفق عليها جميع الأنبياء.

السادسة: أن المسلم إذا علم أنه لم يُخصَّ بهذه الشعيرة وحده، وأن الأنبياء كلهم صاموا، والأمم من قبله صامت؛ كان ذلك عزاءً وتسليةً له، وتقويةً لقلبه على الصيام الذي أمر به كما أمر به من كان قبله من الأمم.

السابعة: في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣] الصيام الشرعي معروف؛ لكنه في هذه الآية غير محدد بزمن ولا عدد، ولهذا نقل عن معاذ وقتادة وغيرهم من السلف: أن الصيام كان في أول الإسلام مطلقاً غير محدد.

وقيل: ثلاثة أيام من كل شهر، وقد تقدم أنهم كانوا قبل الإسلام يصومون عاشوراء، فلعل ذلك كان المرحلة الأولى من الصيام.

الثامنة: التدرج في التشريع، وهذا من خصائص شريعة الإسلام في المأمورات كالصلاة، وفي المنهيات كالخمر، فالصلاة كانت في بادئ الأمر ركعتين ركعتين، فزيدت في الحضر وبقيت في السفر، كما في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

(١) البخاري (١٩٠٠).

(٢) البخاري (٣٢٥٩)، ومسلم (٢٣٦٥).

قالت: «فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر»[1].

والخمر لم يحرمها الله ﷻ دفعة واحدة؛ بل على ثلاث مراحل.

وفي آية الصوم معنى عجيب لمن تأمله، فإن الله ﷻ خاطبهم بالإيمان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة:١٨٣]، وهذا فيه نوع من إثارة الإيمان بربهم، وتشجيعهم وحثهم على السماع والتنفيذ، ثم الإشارة إلى الكتاب أنه كتب عليهم، وهذا فيه حث لهم؛ لأنه لو كان هذا الأمر مسنوناً أو مستحباً فربما فرط فيه بعض الناس، فقول ربنا سبحانه: ﴿ كُتِبَ ﴾ يعلم المستمع أن الكاتب هو الله الخالق سبحانه، فيحثهم هذا على التطبيق، ثم يقول: ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة:١٨٣] أي: هذا أمر لم تنفردوا به عن غيركم، ثم يُبين ﷻ أنهم هم المقصودون، وأن المصلحة لهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝﴾ [البقرة:١٨٣].

ثم يؤكد سبحانه أن الأمر لا يتجاوز أياماً معدودة، ومع أنها أيام معدودة إلا أن فيها ألواناً من الرخص، ففي أول الإسلام على القول بأنه كان هناك رخصة لمن لا يريد الصيام أن يفتدي، وحتى بعد ذلك لا زالت الرخصة قائمة إلى اليوم لمن كان مريضاً أو على سفر أن يفطر ويصوم عدة من أيام أخر، ثم يعقب سبحانه ذلك كله بقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

ففي الآية الكريمة ألوان من التدرج مع الناس، وفي هذا درس كبير للدعاة، فما دام الله ﷻ وهو يأمر عباده ويكلفهم بشعيرة هي ركن من أركان الإسلام، ومع ذلك في هذه الآية ما يزيد على اثني عشر درباً من دروب التدرج، والترغيب، والتحضيض، والتحبيب، والتهوين على العباد؛ فكذلك الداعية ينبغي أن يحرص على تسويق دعوته

(١) البخاري (١٣٧)، ومسلم (٦٨٥).

إلى الناس بالحسنى، وأن يتدرج إليهم ويحرص على هدايتهم من أقرب الطرق، وأسهل الأبواب والأسباب.

وسيرة الرسول ﷺ وهديه أكمل هدي، وسنته أعظم سنة، جعل الله ﷻ فيها خاصية يشعر معها الإنسان بقرب تناولها وتطبيقها، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: «جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

نعم! وُجد عند السلف رحمهم الله أشياء ليست خارجة عن السنة، ولا هي من اتباع السنة، ولكنهم قد يأخذون أنفسهم بالجد في بعض الأمور؛ فيكون عند أحدهم جانب من القوة في شعيرة معينة في السلوك والزهد والإعراض عن الدنيا، أو العلم والتحصيل، أو الإنفاق أو الجهاد؛ فإذا نظرت إلى سيرة واحد منهم خُيِّل لك أنك لن تستطيع اللحاق به؛ لكن إذا نظرت إلى سيرة سيدهم وإمامهم وقدوتهم محمد ﷺ شعرت أنها في المتناول، قريبة المأخذ، ممكنة الاتباع، وهذا درس كبير للداعية في تقريب الأمر إلى الناس وتسهيله عليهم، سواء كان أمر دعوة، أو أمر تعليم، أو أمر إصلاح أو خير. وليس من المصلحة للناس أن نشعرهم وهم يُقبلون على وجه من وجوه الخير أنهم داخلون في باب صعب يعزُّ عليهم المضي فيه؛ بل نهوِّن عليهم الأمر ونسهله لهم، وإذا دخلوا فيه وجدوا العون من الله تبارك وتعالى.

---

(١) البخاري (٤٧٧٦)، ومسلم (١٤٠١).

التاسعة: الفرق الشاسع والبون العظيم بين أمة محمد ﷺ وبين بني إسرائيل، فبنو إسرائيل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [البقرة:٦٧].

لم يأتمروا بأمر الله مباشرة؛ بل شددوا فشدد الله عليهم، بينما الصحابة رضي الله عنهم عندما قال الله ﷻ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة:١٨٣]، صاموا حسب وسعهم وفهمهم واستطاعتهم، ولم يترددوا.

العاشرة: في قوله ﷻ: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة:١٨٤]، فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ثلاثة أيام من كل شهر.

والثاني: أنها ثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشوراء.

والثالث: أنها شهر رمضان، وهو الأصح. وتكون الآية محكمة في هذا القول، وفي القولين قبله تكون منسوخة.

الحادية عشرة: قال الله ﷻ: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٤] فغاير بين ﴿ مَّرِيضًا ﴾ و﴿ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾، ولم يقل سبحانه: مريضاً أو مسافراً، ولم يقل جل جلاله: فمن كان منكم عنده مرض أو على سفر، والظاهر - والله أعلم- أن مريضاً يقصد به المريض الفعلي؛ لأن المرض: هو كل ما خرج به الإنسان عن حد الصحة من علة، وهذا يدخل فيه أقلُّ شيء، حتى وجع الإصبع أو الصداع أو الزكام، فيوصف صاحبه بأنه مريض، بيد أن مثل هذه الأمراض لا تبيح الفطر عند جمهور العلماء، ومنهم الأئمة الأربعة، فلا يفطر إلا من أثّر الصوم على صحته، وأخّر بُرأه وشِفاه، أما من كان مرضُه خفيفاً فلا يفطر.

أما السفر فقوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ [البقرة:١٨٤] يعني: أيّ سفر، شريطة أن يطلق

عليه مسمى سفر، حتى لو كان بالطائرة، وفي ترفه وراحة وأنس فله أن يتمتع برخصة الفطر.

الثانية عشرة: قوله جل وتعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٤]، لم يقل سبحانه: فصيام من أيام أخر؛ ليدل على أن من أفطر أياماً من رمضان فإنه يقضي أياماً بعددها فقط، فعدة أي: بعدد ما أفطر، وقول بعضهم: من أفطر يوماً فإنه يصوم عشرة أيام، باطل لا أصل له.

الثالثة عشرة: قوله تعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٤]، يؤخذ منها أنه لا يلزم التتابع في القضاء، فإن الله ﷻ قد طلب منا شيئاً واحداً، وهو أن تكون أيام القضاء بعدد أيام الفطر، ولم يذكر شرطاً آخر، وهو مذهب الجمهور، وهو الصحيح.

الرابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٤] هذه نكرة، فلو صام في أي شهر لقضى ما عليه، ولا يلزم أن يقضيها ضرورة بعد رمضان، وفي الصحيحين عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: «كان يكون علي الصوم من رمضان فلا أستطيع أن أقضي إلا في شعبان»، قال يحيى: الشغل من النبي أو بالنبي ﷺ[1].

الخامسة عشرة: ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٨٤]، لم يقل سبحانه والصيام خير لكم، وإنما عبر بالفعل المضارع مع (أنْ) المصدرية، والظاهر أن المعنى واحد من حيث الأصل؛ لكن يظل اللفظ القرآني له رونقه وإعجازه، مما لا يتوفر لأسلوب غيره، فالفعل المضارع يدل على التجدد والحدوث، بخلاف الاسم فهو أكثر جموداً، ﴿ وَأَن تَصُومُوا ﴾ [البقرة:١٨٤] تذكير لهم بمعنى الصيام، وتذكير بالنية فيه، وقصد الصيام وإرادته، ولهذا قال بعض العلماء: إن الصيام هو النية، وقد ورد مرفوعاً: «الصيام لا رياء فيه»[2]، أي: الصيام الحقيقي؛ لأن حقيقة

(١) البخاري (١٨٤٩)، ومسلم (١١٤٦).

(٢) البيهقي في شعب الإيمان (٣٥٩٣).

الصوم أنه سر بين العبد وربه.

السادسة عشرة: كيف يُجمع بين قول الله تعالى: ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة:١٨٤]، وبين الحديث المتفق عليه: «الصَّوْم لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»[1]، فظاهر الآية أن الصوم للعبد، وظاهر الحديث أن الصوم لله؟

يقال: خير لكم أي لتقواكم: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة:١٨٣]، فمقصود الصوم: تحقيق التقوى في النفوس والقلوب، فالصوم من جهة هو فعل العبد، وأثر الصوم وثمرته وفائدته يرجع للعبد في تحقيق الثواب، والتربية على الصبر، وتحقيق الإخلاص. وأما نسبة الصوم إلى الله ﷻ فباعتبار الإخلاص لله ﷻ، وأن الصوم لا يقع شرعياً إلا خالصاً له ﷻ.

(١) البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١١٥١).

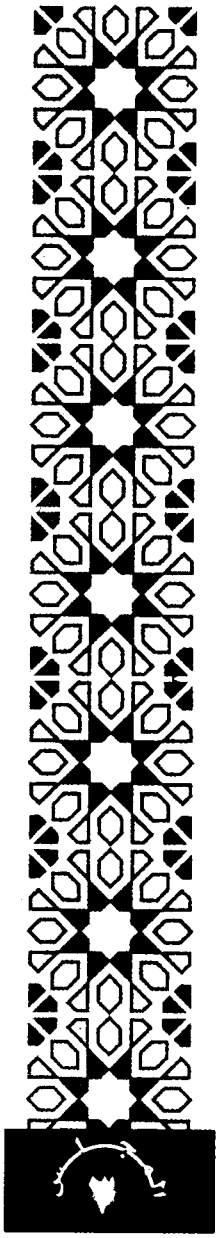

ربّانيّة الصّوم

» «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»

أخي الصائم الحبيب! هذه وقفة معك بارك الله فيك وتقبل منك صومك.

وجدير بك أن تتأمل! فقد مضى من العمر ما مضى في التفريط والتسويف والغفلة، وكأن الواحدَ منّا أُعطي صكاً بالخلود.

نخطو وما خطونا إلا إلى الأجلِ ... وننقضي وكأن العمر لم يطُلِ
والعيش يُؤذِنُنا بالموت أولُه ... ونحن نرغب في الأيام والدّولِ
سَلّى عن العيش أنا لا ندوم له ... وهوَّن الموت ما نلقى من العللِ
ونستلذُّ الأماني وهي مرديةٌ ... كشارب السُّم ممزوجًا مع العسلِ

إن الصوم عبادة شريفة، ويكفيه شرفاً أن الصوم لم يُعبَد به غيرُ الله، ففي حديث أَبِي هريرةَ عن النَّبِي ﷺ قَالَ: «يقول الله ﷻ: الصوم لي وأنا أجزي به»[1].

قال ابن حجر رحمه الله: «وسبب الإضافة إلى الله أن الصيام لم يُعبَد به غيرُ الله، بخلاف الصلاة والصدقة والطواف ونحو ذلك»[2].

واعلم أن الصوم له ظاهر وباطن، فظاهر الصوم كفُّ البطن والفرج عن قضاء الشهوة.

---

(١) البخاري (٧٠٥٤).

(٢) فتح الباري (٤/ ١٠٨).

وباطن الصوم الكف في الدنيا عما سوى الله؛ فيحفظ الصائم الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، ويذكر الموت والبلى، ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا، فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته.

أهل الخصوص من الصُّوَّام صومُهمُ ... صونُ اللسان عن البهتان والكذبِ
والصالحون وأهلُ الصِّدق صومُهمُ ... صونُ القلوب عن الأغيار والحجبِ

والصوم مدرسة ربانية، ومحضن إيماني، يتلقى فيه الصائم دروس الأخلاق، ويتربى على جميل الطباع، وما أطيب أن يتعاقد الصائم مع نفسه منذ أول الشهر على أن يعنى بواحد من الأخلاق الرفيعة -على أقل تقدير- فيتعاهد نفسه ويراقبها ويحاسبها ويعاتبها حتى تلين وتنقاد، ومن ذلك:

غضُّ البصر عن محارم الله:

قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدُقوا إذا حدَّثتم، وأوفُوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا اؤتُمِنتم، واحفظوا فروجَكم، وغضُّوا أبصارَكم، وكفُّوا أيديَكم»[1].

وقال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «يا علي! لا تتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»[2].

---

(١) أحمد (٢٢٨٠٩)، والبيهقي في سننه (١٢٤٧١)، وابن حبان في صحيحه (٢٧١)، وقال: صحيح الإسناد.

(٢) أبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧).

وفي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: «سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري»[1].

وقال ابن مسعود ﷺ: «حفظ البصر أشدُّ من حفظ اللسان».

وقال أيضاً: «الإثم حوَّاز القلوب، وما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمع».

وما أكثر المناظر التي أصبح من المحتم فطام النظر عنها، فالقنوات الفضائية التي يتفنن القائمون عليها باختيار الوجوه الحسان، والقامات الرشيقة، والأصوات الناعمة، والمواقع الإلكترونية المختلفة والتي يصل بعضها إلى حد الإباحية، ونشر الرذيلة والعُري، والمتاجرة بالأجساد، والصور التي تقابل المرء حتى في إعلانات الشوارع في بلاد الإسلام، أو في الصحف والمجلات والأسواق التي تكتظ بالنساء، وفيهن المحجبة العفيفة المصونة، والمتبرجة المتطلعة الفاتنة المفتونة، حتى أصبحت مجاهدة النفس على غض البصر من أهم المهمات، وصار الفشل فيها لدى الشباب ذريعة إلى الوقوع في الفحشاء، والانقطاع عن عمل الخير، وضعف تأثير العبادة كالصوم والصلاة.

ولغض البصر عما حرم الله فوائد منها:

١ - أنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده.

٢ - أنه يمنع وصولَ أثر السهم المسموم الذي ربما هلاكُ قلبه فيه.

٣- أنه يورث القلب أنساً بالله.

٤ - أنه يُقوِّي القلبَ ويُفرحه، كما أن النظر إلى المحرمات يُضعف القلبَ ويُحزنه.

٥ - غض البصر يكسب القلب نوراً كما إن إطلاقه يورثه ظلمة.

---

(١) مسلم (٢١٥٩).

٦- أنه يورث الفراسة الصادقة التي يميز بها بين المحقِّ والمبطل، والصادق والكاذب.

٧- يورث القلب شجاعة وقوة، ويجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة وسلطان القدرة والقوة.

٨- أنه يسدُّ على الشيطان مدخلَه إلى القلب؛ فإنه يسرع إلى القلب مع النظرة أسرع من الهواء إلى المكان الخالي.

٩- أنه يفرغ القلب إلى مصالحه، والاشتغال بها.

١٠- إذا فسد النظر فسد القلب، وإذا فسد القلب فسد النظر، فإن بينهما منفذاً يشغل أحدهما بما يشغل به الآخر.

ومنها حفظ اللسان:

قال النووي رحمه الله: «اعلم أنه لكلّ مكلّف أن يحفظَ لسانَه عن جميع الكلام إلا كلاماً تظهرُ المصلحة فيه، ومتى استوى الكلامُ وتركُه في المصلحة فالسنّة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجرّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه؛ بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلُها شيء»[1].

وعن ثوبان رضي الله عنه لما نزلت: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ ﴾ [التوبة:٣٤] قال: «كنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: أنزل في الذهب والفضة ما أنزل، لو علمنا أي المال خير فنتخذه؟ فقال: أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه»[2].

---

(١) الأذكار للنووي (١/ ٧٧٥).

(٢) الترمذي (٣٠٩٤)، وصححه الألباني.

وفي المتفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[1].

وفيهما: قال النبي ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[2].

وفيهما عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[3].

وفي الترمذي: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[4].

وفيه: «ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم»[5].

وعن ابن مسعود قال: «ما من شيء أحقُّ بطول سجن من اللسان»[6].

ويروى أن قسَّ بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تُحصى، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب، ووجدت خصلة إن استعملتها سترت العيوب كلها، قال: ما هي؟ قال: حفظ اللسان[7].

---

(١) البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٤٧).

(٢) البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠). واللفظ للبخاري.

(٣) البخاري (٦١١٢)، ومسلم (٢٩٨٨) واللفظ له.

(٤) الترمذي (٢٤٠٦)، وصححه الألباني.

(٥) الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الألباني.

(٦) الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا (١/ ٥٦).

(٧) الكبائر (١/ ١٢٨).

ومن آفات اللسان:

- الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع، والفخر بالأحساب، وإثارة النزعات العنصرية والقبلية والإقليمية التي تفرق وحدة المجتمع والأمة، مع قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣]، والحسب: هو التقوى والعلم وحسن الخلق، وليس أن يكون أبوك فلاناً أو فلاناً!
- التحديث بكل ما سمع إذا لم يظن صحته، وفي صحيح مسلم: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»[1]. وفي محكم التنزيل: ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات:٦]، وفي قراءة: (فَتَثَبَّتُوا).
- إظهار الشماتة بالمسلم.
- احتقار المسلمين والسخرية منهم بأشكالهم أو صورهم أو طريقة حديثهم.
- شهادة الزور، ومعنى شهوده أي: حضوره، كما تعني: الشهادة أمام القاضي بغير الحق.
- المنُّ بالعطية ونحوها.

ومن أعظم آفات اللسان عامة، وفي رمضان خاصة: آفة الغيبة.

قال ابن حجر رحمه الله: «الغيبة تضر بالصيام وقد حكي عن عائشة أن الغيبة تفطر الصائم، وتوجب عليه قضاء ذلك اليوم، وبه قال الأوزاعي، وأفرط ابن حزم فقال: يبطله كل معصية من متعمد لها، ذاكر لصومه؛ سواء كانت فعلاً أو قولاً. والصواب أنها تخدش الصوم، وتنقص أجره، لكنها لا تبطله ولا توجب القضاء»[2].

والغيبة كما قال النبي ﷺ هي: «ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في

---

(١) مسلم (٥).

(٢) الفتح (٤/ ١٠٤).

أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»[1]، سواء كان ذلك في بدن الشخص، أو دينه، أو دنياه، أو نفسه، أو خَلْقه، أو خُلُقه، أو ماله، أو والده، أو ولده، أو زوجه، أو خادمه، أو ثوبه، أو حركته، أو طلاقته، أو عبوسته، أو غير ذلك مما يتعلق به، وسواء ذكرته باللفظ أو بالإشارة والرمز[2].

وللغيبة أسباب تبعث عليها منها:

الاستهزاء الناشئ عن الكبر والتعاظم وتحقير الآخرين، بسبب الحسد على ما آتاهم الله، ورفع النفس وتزكيتها، ومحاولة تبرئتها مما ينسبه المغتاب لمن يغتابه، وقد يبعث عليها مجاملة الجالسين، وخشية نفرتهم إن لم يشاركهم.

ومن أعظم أسبابها حب الانتقام، وشفاء النفس عن طريق ذكر المساوئ والسلبيات حتى ولو تعريضاً؛ كقول بعضهم: نسأل الله العافية! فلان كذا، أو حصل منه كذا.

وبالجملة فكل قدح في الغير مما يكرهه لا يحل، وهو من الغيبة، وهي درجات: فبعضها أعظم من بعض بحسب من تكلّم فيه منزلةً، وبحسب المقالة التي قيلت فيه، فمن اغتاب إنساناً في دينه فهذا أعظم من القدح في لون ثوبه أو طريقة مشيه.. وهكذا، وهذا كله إذا كان الباعث له السبب الدنيوي دون سبب أو عذر مبيح.

أما من تكلم تحذيراً للأمة من الشرور والآثام والمبادئ المنحرفة وأهلها، فهذا ليس من الغيبة في شيء؛ بل هو من النصيحة لله ولعباده المؤمنين؛ لكن مع الانضباط

---

(١) مسلم (٢٥٨٩)، وأبو داود (٤٨٧٤)، والترمذي (١٩٣٤)، والنسائي (٥٣٨). وأحمد في المسند (٧١٤٦).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٤٦٩).

بالضابط الشرعي، وتجريد العمل من شوائب الحظوظ الدنيوية والنفسية، والله المستعان. فاللهم اغفر لنا، ولكل من ظلمناه بقول أو عمل.

والعجب أن كثيراً من الذنوب العظيمة قد هانت على الناس، وخفَّ وقعُها، حتى إن الكبيرَ والصغيرَ والعالم والجاهل يعملُها ويكرِّرها، ولا يأنفُ ولا يستنكفُ ولا يتردَّدُ، بينما يتجادل الناس في مسائل صغيرة، ويعظِّمون أمرها، ويبالغون في النكير على من خالفهم فيها، وقد تكون من المكروهات، أو مما هو خلاف الأولى، أو من اللمم، أو من صغائر الذنوب؛ فإلى الله المشتكى.

فيتوجب على الصائم أن يحفظ صومه، وأن يتقي الله في لسانه وبصره وقلبه وجوارحه، وأن يحرص أن لا يكون حظُّه من صيامه الجوع والعطش.

شهر القرآن

» «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ»

[البقرة:١٨٥]

رمضان شهر القرآن، ابتدأ نزول القرآن فيه، ونزل القرآن بذكر الصوم وإيجابه، وشرع الإكثار من القراءة فيه، حتى كان جبريل عليه السلام يدارس النبي ﷺ القرآن في شهر رمضان، قال الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة:١٨٥].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف»[1].

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فِرقان من طير صواف تحاجَّان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة» قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحرة[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»[3].

---

(١)الترمذي (٢٩١٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) مسلم (٨٠٤).

(٣)البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

وقد أمر الله بتلاوة كتابه، وبيَّن أن هذا هو دَأْبُ الصالحين الصادقين، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

فقراءة القرآن هي التجارة الرابحة، وذلك في جميع الدُّهور، وعلى مدى الأيام والشهور؛ لكنَّ لها في رمضان شأنًا أعظم وآكد؛ فإن النبي ﷺ كانت تزيد عنايته بالقرآن في رمضان، وذلك لأسباب:

أولاً: أن ابتداء نزول القرآن كان في رمضان، فإن الليلة التي نزل فيها جبريل على النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق:١-٥] كانت في شهر رمضان.

وقصة نزول جبريل عليه السلام على النبي ﷺ جاءت في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنَّث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه المَلَكُ، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ [العلق:١-٣]، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة

بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زمِّلوني زمِّلوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلاّ! والله لا يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة، حتى أتتْ به ورقةَ بنَ نوفل بنِ أسد بنِ عبد العزى، ابنَ عم خديجة، وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم! اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي! ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أومخرجيَّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصُرْك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن تُوفي، وفتر الوحي»[1].

هذه الحادثة كانت في رمضان، كما هو مقتضى ما ذكره ابن إسحاق، وأبو سليمان الدمشقي، فيما نقله ابن الجوزي في كتابه (زاد المسير في علم التفسير)[2]، عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة:١٨٥]، أي: ابتدأ إنزاله فيه.

ويحتمل أيضًا أن يكون هذا هو معنى قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الدخان:٣]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ [القدر:١]، إلى آخر السورة، ذلك أن ليلة القدر من رمضان.

---

(١) البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠).

(٢) انظر: زاد المسير (١/ ١٨٧) ط المكتب الإسلامي (١٤٠٧هـ).

ثانياً: أن رمضان هو الذي أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكما أطبق السلف على أن القرآن فُصِل من اللوح المحفوظ وأُنزِل إلى بيت العزة في سماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان، ثم كان ينزل على الرسول ﷺ نجومًا بحسب الوقائع والأحوال، كما هو معروف في أسباب النزول.

وقد نُقِل هذا المعنى عن جماعة من الصحابة، كواثلة بن الأسقع، وعائشة رضي الله عنهما، وجاء مرفوعًا إلى النبي ﷺ وموقوفًا.

ونُقِلَ - أيضًا- أن الحسن بن علي رضي الله عنهما لما قُتِل أبوه - وكان ذلك في رمضان سنة (٤٠هـ) - قام فخطب الناس وقال: «لقد قتلتم رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن على محمد ﷺ، ورُفع فيها عيسى إلى السماء، وقُتل فيها يوشع بن نون، وتيب على بني إسرائيل»[١].

والآثار في ذلك عن السلف كثيرة جدًا، وخلاصتها ما تقدم من أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، التي هي من رمضان.

ثالثاً: أن جبريل كان يأتي النبي ﷺ في رمضان فيدارسه القرآن كل ليلة، كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلَرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[٢].

وفي العام الذي توفي فيه الرسول ﷺ عارضه جبريلُ القرآنَ مرَّتين[٣].

---

(١) أبو يعلى في مسنده (٦٧٥٧)، تاريخ مدينة دمشق (٤٢/ ٥٨٢).

(٢) البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٣) البخاري (٢٦٢٤)، ومسلم (٢٤٥٠).

إذن، فقد كان رمضان بالذات مخصصًا لتدارس القرآن بين جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ في كل سنة، بحيث يتم في كل رمضان مراجعة ما أُنزل من القرآن، فيقرأ النبي ﷺ وجبريل يستمع إليه، ومن خلال المعارضة يتم إثبات ما أمر الله تعالى بإثباته، ونسخ ما أمر بنسخه ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الرعد:٣٩]، كما أنه قد يتم - أيضًا- شرح معاني القرآن، وتدارسها بين جبريل والرسول ﷺ.

وقد أخذ أهل العلم من ذلك: مشروعية ختم القرآن في رمضان؛ لأن جبريل والنبي عليهما صلوات الله وسلامه، كانا يُنْهِيَان في كل رمضان ما سبق نزوله من القرآن، وفي آخر سنة أنهياه مرتين بالمدارسة والمعارضة -كما تقدم-، فهذا دليل على أنه يستحب للمسلم أن يقرأ القرآن الكريم كاملاً في رمضان مرة أو أكثر؛ بل إن السُّنة أن يختم القرآن في كل شهر مرة، وإن استطاع ففي كل أسبوع مرة؛ بل إن استطاع ففي كل ثلاث ليال مرة، كما صح ذلك عن النبي ﷺ[1]؛ ولذلك كان السلف يخصصون جزءًا كبيرًا من وقتهم في رمضان لقراءة القرآن، حتى قال الزهري رحمه الله: «إذا دخل رمضان فإنما هو قراءة القرآن، وإطعام الطعام»[2].

وكان الإمام مالك رحمه الله إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث، وأقبل على قراءة القرآن الكريم من المصحف.

إذن: ففي رمضان أنزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، وفيه ابتدأ إنزال القرآن على المصطفى ﷺ، وفيه كان جبريل يدارسه القرآن ويعارضه إياه؛ ولهذه الأسباب مجتمعة لابد أن تكون عناية المسلم بالقرآن مضاعفة في هذا الشهر الكريم، كما كان حال النبي ﷺ والسلف الصالحين من بعده.

---

(١) البخاري (٥٠٥٢)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) التمهيد (٦/ ١١١).

وحول موضوع العناية بالقرآن ينبغي الإشارة إلى ملحوظات جوهرية:

الأولى: أن بعض الناس يظنون أن ختم القرآن مقصود لذاته، فَيَهُذُّ الواحدُ منهم القرآنَ هَذَّ الشِّعر، والهذُّ: سرعة القراءة[1]، بدون تدبر، ولا خشوع، ولا ترقيق للقلب، ولا وقوف عند المعاني؛ بل همه الوصول إلى آخر السورة أو آخر الجزء، أو آخر المصحف.

ولا شك أن القرآن ليس لهذا أُنزل؛ فإن الله تعالى يقول في هذا الكتاب الكريم نفسه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل:٤]، فمن الخطأ أن يحمل أحدَنَا الحماسُ إذا سمع بعض الآثار عن السلف التي تفيد أنهم يختمون القرآن كل يومين مرة، أو كل يوم مرة؛ فيقول: لابد أن أقتدي بهم، ويمضي يهذُّ القرآن هذًّا، غير متمعِّن ولا متدبر، ولا مراعٍ لأحكام التجويد، أو مخارج الحروف الصحيحة قدر الإمكان.

إنَّ كون العبد يقرأ بعضًا من القرآن: جزءًا، أو حزبًا، أو سورة بتدبر وتفكر، خير من أن يختم القرآن كاملاً بدون أن يعي شيئًا منه، ولا يعني هذا أن من لا يحسن التدبر أن يترك القراءة.

وقد ثبت في الموطأ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه أخذ في تحصيل سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها[2].

وهل كان ابن عمر رضي الله عنهما محتاجًا أن يمكث ثماني سنين ليستظهر سورة البقرة؟ كلا! فإن صبيان الكتاب يحفظون القرآن كله في سنة أو سنتين، ولكنه رضي الله عنهما استغرق ثماني سنين في سورة البقرة: يحفظها، ويتعلم معانيها، وأحكامها، وناسخها

(١) لسان العرب (٣/ ٥١٧).

(٢) الموطأ (٤٧٩).

ومنسوخها، وخاصها وعامها، ويقف عند ما ورد فيها.. إلى غير ذلك، وهذا الذي جعله يفني في ضبطها هذا الوقت الطويل.

وَلأَنْ يقرأ الإنسان وحده ليتدبر ويتمعن ويخشع؛ خير من اجتماع على زعق وضجيج وأصوات، ولقد ذكر الرسول ﷺ أنَّ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الذي يذكر الله خاليًا فيبكي، حيث قال ﷺ: «ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[1].

الثانية: حول ما يسمى (الختمة)، والمراد بها: قراءة القرآن في صلاة التراويح والقيام، ثم الدعاء المعروف عند إتمام القرآن الكريم.

والناس في هذه القضية طرفان ووسط:

فمنهم من يقول: إن هذه بدعة، ولا يفصِّل.

ومنهم من يقول: إنها سنة، ويعمل بها بدون تفصيل أيضًا.

والذي أراه صوابًا أنه لابد من التفصيل في ذلك،كما يلي:

أولاً: إتمام القرآن الكريم في صلاة التراويح والقيام مشروع كما سبق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما قراءة القرآن في التراويح فمستحب باتفاق أئمة المسلمين؛ بل من أجل مقصود التراويح قراءة القرآن فيها ليسمع المسلمون كلام الله، فإن شهر رمضان فيه نزل القرآن، وفيه كان جبريلُ يدارس النبيَّ ﷺ القرآن» اهـ[2].

ثانيًا: الدعاء عند ختم القرآن الكريم، فالمذهب: أنه مستحب، وبه قال متأخرو الحنفية والشافعية؛ لحديث العرباض بن سارية عند الطبراني في الكبير: «من ختم

---

(١) البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ١٢٢).

القرآن فله دعوة مستجابة»[1]، وفي إسناده عبد الحميد بن سليمان الخزاعي، وهو ضعيف[2].

وقال بعض الحنفية: يستحب خارج الصلاة، ويكره داخلها. وقال بعض المالكية: لا يشرع، لا داخل الصلاة ولا خارجها؛ بل هو بدعة؛ لعدم وروده.

والحاصل أن يقال: إن دعاء ختم القرآن خارج الصلاة قد صح من فعل أنس رضي الله عنه أنه «كان إذا ختم جمع أهله وولده فدعا لهم» كما جاء في سنن الدارمي، ومصنف ابن أبي شيبة[3].

وعن الحكم قال: «أرسل مجاهد وعبده بن أبي لبابة قالا إنا أرسلنا إليك أنا نريد أن نختم القرآن وكان يقال إن الدعاء يستجاب عند ختم القرآن فلما فرغوا من ختم القرآن دعوا بدعوات[4].

وأما داخل الصلاة فلم يصح فيه شيء؛ لكن لو جعل الدعاء في قنوت الوتر سواء في التراويح أو في القيام، فهذا سهل فيه الإمام أحمد؛ لأنه محل للدعاء، ولأن الوتر هو الموضع الذي ثبت شرعًا أنه مكان الدعاء، فلقد علَّم النبي ﷺ الحسن -كما في سنن الترمذي - أن يقول في الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولَّني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك، وإنه لا يذِلُّ من واليت، تباركت ربنا وتعاليت»[5].

---

(١) الطبراني في الكبير (١٨/ ٢٥٩).

(٢) تهذيب التهذيب (٦/ ١١٦)، قال الهيثمي في زوائده: رواه الطبراني وفيه عبد الحميد بن سليمان وهو ضعيف.

(٣) الدارمي (٣٤٧٤)، وابن أبي شيبة (٣٠٠٣٨).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٣٦٨).

(٥) أحمد (١١٧٨)، والدارمي (١٥٩١)، وأبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤)، والنسائي (١٧٤٥)، وابن ماجة (١١٧٨) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث حسن.

فالسنة أن يكون الدعاء في الوتر، سواء كان ذلك قبل الركوع أو بعده[1].

وجاء عن إبراهيم النخعي عندما سئل عن مقدار القنوت في الوتر فقال: بمقدار سورة الإنفطار.

وعندما ذكر هذا لأحمد رحمه الله قال: هذا قليل. وأجاز الزيادة على هذا.

وبالنظر لما نقل في قنوت النبي ﷺ في صلاته، وقنوت أصحابه رضي الله عنهم؛ نجد البون الكبير بين مقدار ما قنتوا به وما يفعله بعض الأئمة اليوم كماً وكيفاً، مما يصل إلى حد الإطالة والإملال، والخروج عن المقصود في الدعاء، ويُتعِب من بعدهم، ويُكرِّه إليهم عبادة ربهم.

ولا مانع من إطالته بمناسبة ختم القرآن، وإضافة أدعية تتعلق بالقرآن الكريم، مثل ما يقول بعض الأئمة: اللهم انفعنا وارفعنا بالقرآن العظيم، اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصَّتك يا أرحم الراحمين، اللهم اجعل القرآن لنا شفيعًا... إلى غير ذلك من هذه الأدعية.

أما الدعاء الشائع عند الناس الذي يبدأ بقولهم: «صدق الله العظيم الذي لم يزل عليمًا قديرًا، صدق الله ومن أصدق من الله قيلاً، صدق الله العظيم، وبلَّغ رسولُه الكريم، ونحن على ما قال ربنا من الشاهدين، ولما أوجب وأنزل غير جاحدين..» إلخ؛ فهذا لا أصل له، والأولى تجنُّبه، وبخاصة أنه انتشر عند الناس حتى ظنه بعضهم من السنن، فلو تركه أحد لأنكروا عليه، وقالوا: خالفْتَ السنة ولو قرأه إمام لم يحسن مخالفة المأمومين له، ولا أن يكون ذلك سبباً لإثارة الخلاف، والقيل والقال، فالأمر يسير، والحرص على وحدة القلوب وسلامة النفوس أهم من مراعاة فرع أو جزئية من هذا القبيل.

---

(١) انظر: البخاري (١٠٠١)، ومسلم (٦٧٧).

ولا ريب أن مما يدخل في المنع أن بعض الناس يزيد في دعاء ختم القرآن مواعظ تتعلق بذكر القبر، وما يقع فيه من عذاب، والصراط، والبعث، والجزاء، والحساب، والجنة والنار وما يقع فيهما، ولا شك أن هذا ليس محله؛ بل هذا من الاعتداء المنهي عنه، وربما أوصل بعضهم إلى بطلان صلاته؛ لأن هناك من يحول الدعاء إلى موعظة وتذكير.

إذن: فالتفصيل في مسألة الختمة أمر جيد، وهو قول وسط بين المانعين بإطلاق، والمجيزين بإطلاق.

على أن الأمر لا ينبغي التشديد فيه، فحتى الذين يقرءون دعاء الختمة في غير الوتر- أي يقرءونه في صلاة ثنائية من التراويح- يقولون: «إن النبي ﷺ كان يقنت في صلاة الفجر»[1]، كما ثبت ذلك عنه مرات؛ بل ثبت عنه القنوت في غير صلاة الفجر: في الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء[2]، في أحاديث عديدة، فيقول هؤلاء: هذا من هذا. وإن كانت العبادات ليس فيها مجال للقياس، وإنما مبناها على النص والتوقيف.

والقدر المتفق عليه هو إقبال الناس على صلاتهم، وظهور أثرها في معاملاتهم، وفي حسن إدارة الخلاف فيما بينهم، ووضع الأمور في نصابها، وعدم الإسراف في الإنكار.

(١) انظر: البخاري (١٠٠١)، ومسلم (٦٧٧).

(٢) انظر: البخاري (٧٩٧)، ومسلم (٣٩٢).

من أحكام الصيام

» «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»

إن الكلام عن أحكام الصيام يطول، ولكن لا بأس بالحديث عن أبرزها باختصار:

أولاً: ما يثبت به دخول رمضان:

يثبت دخوله إما بإكمال عدة شعبان ثلاثين يومًا، أو برؤية هلال رمضان، قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غُمّ عليكم فاقدروا له»[1]، وفي لفظ: «فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا»[2].

ولا يثبت بغير ذلك، ولهذا لا يعتمد- مثلاً- على الرؤيا. ومن طريف ما يُروى - هنا أن القاضي حسين- وهو من فقهاء الشافعية- جاءه رجل فقال له: أنا رأيت النبي ﷺ في المنام، فقال لي: إن الليلة من رمضان، فقال القاضي حسين: «إن الذي تزعم أنك رأيته في المنام رآه الصحابة في اليقظة، وقال لهم: صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته»[3].

ولا يجوز -على الراجح- أن يصوم المسلم آخر يوم من شعبان احتياطًا لرمضان، وأما من صام ذلك اليوم لأنه يوافق يومًا كان يصومه؛ فلا حرج، كأن يصومه لأنه

---

(١) البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (١٠٨٠) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(٢) البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) طرح التثريب:(٨/ ٢١٥) (٤/ ١٥٩)، المجموع (٦/ ٢٨٤)، مواهب الجليل (٢/ ٣٨٥).

يوافق يوم الإثنين أو الخميس، أو لأنه يصوم يومًا ويفطر يومًا، فوافق يوم صومه آخر يوم من شعبان، أو غير ذلك؛ لقوله ﷺ: «لا يتقدمنَّ أحدُكم رمضانَ بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجلٌ يصوم صومه، فليصم ذلك اليوم»[1].

ثانياً: النية:

لابد من تبييت النية في صوم الفرض؛ لما روت حفصة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من لم يبيِّت الصيام قبل الفجر فلا صيام له»[2].

أما صيام النفل فلا يجب فيه تبييت النية من الليل؛ بل يجوز بنية من الليل أو النهار، فلو نوى المرء صوم النافلة بعد طلوع الشمس- مثلاً- فصومه صحيح. وهنا تنبيهان حول تبييت النية:

الأول: أن بعض الناس يوسوسون في النية، والوسوسة في النية من أخطر أنواع الوساوس؛ فترى بعضهم يتكلفون ويشكُّون في تبييتهم لنية الصيام، وهذا كله من تلبيس إبليس الذي يجب أن لا يلتفت إليه الصائمون، فإن المسلم بمجرد دخول رمضان يستقر في نفسه أنه سيصوم رمضان كله، وهذا يكفي.

الثاني: أن الليل يشمل جميع المدة التي قبل طلوع الفجر، فلو نام أحد من الليل بدون أن يعلم أن تلك الليلة من رمضان، ثم استيقظ قبل طلوع الفجر ببضع دقائق،

---

(١) البخاري (١٩١٤)، ومسلم (١٠٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مالك (٦٣٧)، وأحمد (٢٥٩١٨)، والدارمي (١٦٩٨)، وأبو داود (٢٤٥٤)، والترمذي (٧٣٠)، والنسائي في المجتبى (٢٣٣١)، وفي الكبرى (٢٦٤٢)، وابن ماجة (١٧٠٠)، والدارقطني (٢/ ١٧٢)، والطبراني في الكبير(٣٦٧)، وابن خزيمة (١٩٣٣)، والبيهقي في الكبرى (٧٦٩٦) عن حفصة رضي الله عنها. قال البخاري فيما نقله عنه الترمذي في العلل الكبير (٢٠٢): فيه اضطراب، والصحيح عن ابن عمر موقوفًا.اهـ ورجح وقفه النسائي في الكبرى (٢٦٤٢).

وعلم أن الليلة من رمضان، فتناول ما تيسر، ثم أمسك؛ لكان ذلك كافيًا، وليس المقصود بتبييت النية أنه يلزمه أن ينام وقد نوى أنه سوف يصوم.

ثالثًا: السحور:

أمَر النبي ﷺ بالسحور، كما في الحديث المتفق عليه عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «تسحروا فإن في السحور بركةً»[1]، وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر»[2]، فاليهود والنصارى- فيما يظهر- لا يتسحرون؛ ومخالفةً لهم أمر النبي ﷺ المؤمنين بأن يتسحروا، فينبغي الحرص على السحور ولو على شربة من ماء، إن لم يجد المسلم غيرها.

رابعًا: الإفطار:

يستحب تعجيل الفطر، وتأخير السحور، كما قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[3] متفق عليه. وجاء من طرق عن العباس ﷺ وغيره: «لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور»[4].

وفي صحيح مسلم أن عائشة ﷺ سئلت عن رجلين من أصحاب النبي ﷺ أحدهما يعجل الإفطار ويعجل الصلاة، والآخر يؤخر الإفطار ويؤخر الصلاة:

---

(١) البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥).

(٢) مسلم (١٠٩٦).

(٣) البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨) من حديث سهل بن سعد ﷺ.

(٤) أحمد (٢٠٨٠٥) من حديث أبي ذر ﷺ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد(٣/ ١٥٤): فيه سليمان بن أبي عثمان قال أبو حاتم مجهول. اهـ، وقد رمز لحسن الحديث السيوطي في الجامع الصغير (١٣٢٤٠)، وصحح الشيخ الألباني قوله ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر» في صحيح الجامع (٧٢٨٤)، لورود شواهد تقويه، وحكم بالضعف على لفظة: «وأخروا السحور» انظر: ضعيف الجامع (٦٢١٢). قال ابن عبد البر: «أخبار تعجيل الفطر وتأخير السحور متواترة». اهـ نقلاً عن فيض القدير للمناوي (١٣٢٤٠).

أيهما أفضل؟ فقالت عن الذي يعجل الإفطار ويعجل الصلاة: «كذلك كان يصنع رسول الله ﷺ»[1].

فيستحب للصائم أن يبادر بالفطر بمجرد ما يتيقن غروب الشمس، وأن يفطر على رطب، فإن لم يجد فعلى تمر، فإن لم يجد حَسَا حَسَوَاتٍ من ماء، كما روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أنه كان يُفطر على رطبات، فإن لم يجد فعلى تمرات، فإن لم يجد حَسَا حسَوَاتٍ من ماء»[2]، ومعنى حسا حسوات أي: تجرع جرعة بعد جرعة[3].

ويستحب أن يقول عند الإفطار: «ذهب الظمأ، وابتلَّت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى»[4].

هذا أصح ما ورد عن النبي ﷺ من الدعاء عند الإفطار، ولا يثبت في أدعية الإفطار غيره؛ لكن للصائم أن يدعو عند فطره بما شاء من خيري الدنيا والآخرة.

خامسًا: المفطِّرات:

ومن أحكام الصيام ما يتعلق بالمفطرات التي تفسد الصوم، وهي:

أولاً: الأكل والشرب والجماع، إذا تعمد الصائم شيئًا منها، من غير إكراه ولا نسيان فإنه يفسد صومه بنص القرآن، وإجماع أهل العلم، قال الله تعالى: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا

(١) مسلم (١٠٩٩) عن أبي عطية الهَمْدَاني.

(٢) أحمد (١٢٢٦٥)، وأبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦)، والدارقطني (٢٣)، والحاكم (١٥٧٥)، والضياء في المختارة (١٥٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد صححه الدارقطني وكذلك الحاكم، وقال: على شرط مسلم.

(٣) المعجم الوسيط (١/ ١٨١).

(٤) أبو داود (٢٣٥٧)، والدارقطني (٢٤)، والحاكم (١٥٣٦)، والبيهقي في الكبرى (٧٩٢٢)، وفي شعب الإيمان (٣٩٠٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وقال الدارقطني: إسناده حسن. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة:١٨٧].

فمن أفطر بالأكل أو الشرب عمدًا فعليه التوبة والاستغفار، وأن يقضي يومًا مكان يومه الذي أفسد صومه فيه، وليس عليه كفارة، هذا هو الراجح من أقوال أهل العلم.

وأما من أفطر بالجِمَاع فإن عليه أربعة أمور:

الأول: أن يمسك بقية اليوم؛ لأن هذا فطر غير مشروع، فليس له أن يأكل أو يشرب حتى تغرب الشمس.

الثاني: أن عليه التوبة؛ لأنه ارتكب إثمًا عظيمًا يُوجِب التوبة والإنابة.

الثالث: أن يقضي اليوم الذي جَامَعَ فيه.

الرابع: أن عليه الكفارة، وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا، فإن لم يجد سقطت عنه الكفارة.

ثانياً- القيء عمدًا، وهو أن يتعمد المرء إفراغ ما في معدته، إما بإدخال إصبعه في فمه، أو بشم شيء يهيج المعدة، أو بغير ذلك، فإذا بدر من الصائم هذا العمل فقد فسد صومه، وعليه قضاء يومه ذلك.

وأما من غلبه القيء بدون إرادة منه أو تعمد، فصومه صحيح ولا قضاء عليه.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ: «من ذرعه القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء عمدًا فليقض»[1]، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (حقيقة الصيام) أنه

---

(١) ابن أبي شيبة (٩١٨٨)، وأحمد (١٠٠٨٥)، وأبو داود (٢٣٨٠)، والترمذي (٧٢٠)، وابن ماجة (١٦٧٦)، وابن الجارود (٣٨٥)، وابن خزيمة (١٩٦٠)، وابن حبان (٣٥١٨)، والحاكم (١٥٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث حسن غريب. اهـ، وقال الدارقطني: رواته ثقات. اهـ، قال المناوي في فيض القدير (١١١٨): ذكر الترمذي أنه سأل عنه البخاري فقال: لا أراه محفوظاً. وقد روي من غير وجه، ولا يصح إسناده، وأنكره أحمد، وقال الدارمي: زعم أهل البصرة أن هشاماً وهم فيه. اهـ.

حديث صحيح[1]، وضعفه جماعة.

ثالثاً: الحيض والنفاس، فإن المرأة إذا حاضت أو نفست فإنه لا يصح منها الصوم بالإجماع، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: «كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»[2].

هذه هي المفطرات المشهورة، ويدخل فيها ما كان في معنى أحدها، فالإبر المغذية التي يستغني بها الإنسان عن الأكل والشرب تفطر الصائم؛ لأنها في معنى الأكل والشرب، والاستمناء يفطر؛ لأنه في معنى الجماع، وهكذا كل ما كان في معنى شيء من المفطرات.

وثمة رخص عديدة امتنَّ الله بها على الصائمين؛ رفعًا للحرج والمشقة عن العباد، منها:

أولاً: من أكل أو شرب ناسيًا وهو صائم؛ فصومه صحيح، ولا قضاء عليه، وهذا هو الراجح عند جمهور العلماء، خلافًا لمالك رحمه الله، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه»[3]؛ لكن يجب عليه إذا تذكر وفي فمه شيء أن يلفظه، وكذلك يجب على الذي يراه وهو يأكل أن يذكِّره أنه في نهار رمضان؛ لأن هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى.

ثانيًا: أن من أصبح جنبًا من جماع أو احتلام في الليل؛ فإنه يصوم ولا شيء عليه، ويغتسل بعد ذلك، أي أنه يصح أن ينوي الصيام وهو جنب، خلافًا لما أفتى به

---

(١) انظر حقيقة الصيام (ص ١٣) وما بعدها.

(٢) البخاري (٣٢١)، ومسلم (٣٣٥).

(٣) البخاري (٦٦٦٩)، ومسلم (١١٥٥).

أبو هريرة ﷺ في أول الأمر، فإن هذا كان أول الأمر ثم نسخ، ولحديث عائشة وأم سلمة ﷺ أن النبي ﷺ: «كان يصبح جنباً وهو صائم، ثم يصوم ولا يفطر»[1].

ثالثًا: السواك بعد الزوال، فإنه مرخص فيه للصائم بعد الزوال؛ بل هو مستحب في المواضع التي يستحب فيها في سائر الأحوال، وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله تعالى.

رابعًا: المضمضة والاستنشاق ينبغي أن لا يبالغ فيهما؛ خشية أن يصل شيء من الماء إلى حلقه؛ فيفطر بذلك، ففي حديث لقيط بن صبرة ﷺ أن النبي ﷺ قال له: «وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا»[2]، وفي بعض الروايات: «وبالِغْ في المضمضة والاستنشاق إلا أن تكون صائمًا»[3].

خامسًا: جواز الفطر في نهار رمضان للمسافر، وهو أفضل من الصوم إن كان الصوم يشق عليه، حتى لو كان سفره في الطائرة، أو في سيارة مريحة، أو نحو ذلك.

---

(١) النسائي (٢٩٤٥)، وأبو داود (٢٣٨٨)، وصححه الألباني.

(٢) أحمد (١٥٩٤٦)، والدارمي (٧٠٥)، وأبو داود (٢٣٦٦)، والترمذي (٧٨٨)، والنسائي (١٤٤)، وابن ماجة (٤٠٧) من حديث لقيط بن صبرة ﷺ. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الدولابي في جزء من حديث الثوري كما في نصب الراية (١/ ١٦)، وتلخيص الحبير (١/ ٨١) وغيرهما.

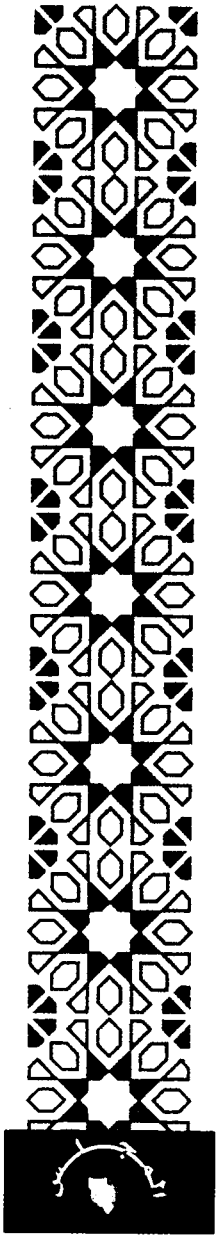

مع القيام

«من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»

رمضان شهر القيام، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ [المزمل:١-٥].

ويقول سبحانه في صفة عباده المحسنين: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ ﴾ [الذاريات:١٧-١٨].

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»[1].

وفي سنن الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفَلَ الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما اسْتبنتُ وجهَ رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلَّم به أن قال: «أيها الناس! أفشوا السَّلام، وأطعِموا الطَّعام، وصلُّوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[2]، ومن هنا ففضل قيام الليل - عمومًا- فضل عظيم، بدلالة تلك النصوص.

---

(١) مسلم (١١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥) من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث صحيح.

وفي قيام رمضان خاصة يقول النبي ﷺ كما في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه»[1].

وقد ثبت أن النبي ﷺ قام بأصحابه في رمضان، كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا؛ فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدَّثوا؛ فكَثُرَ أهلُ المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ، فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهَّد، ثم قال: «أما بعد، فإنه لم يخفَ عليَّ مكانكم، لكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها»[2].

وروى أهل السنن بسند صحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان، فلم يقم بنا شيئًا منه، حتى بقي سبع ليال، فقام بنا ليلة السابعة حتى مضى نحو من ثلث الليل، ثم كانت الليلة السادسة التي تليها فلم يقمها، حتى كانت الخامسة التي تليها، ثم قام بنا حتى مضى نحو من شطر الليل، فقلت: يا رسول الله! لو نفلتنا[3] بقية ليلتنا هذه. فقال: إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف فإنه يعدل قيام ليلة، ثم كانت الرابعة التي تليها فلم يقمها، حتى كانت الثالثة التي تليها، قال: فجمع نساءه وأهله واجتمع الناس، قال: فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح. قيل: وما الفلاح؟ قال: السحور. قال: ثم لم يقم بنا شيئًا من بقية الشهر»[4].

---

(١) البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٦٠).

(٢) البخاري (٩٢٤)، ومسلم (٧٦١)

(٣) أي: لو أعطيتنا قيام بقية الليل وزدتنا إياه كان أحسن.

(٤) الدارمي (١٧٧٧)، والترمذي (٨٠٦)، وأبو داود (١٣٧٥)، والنسائي (١٣٦٤)، وابن ماجة (١٣٢٧)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وحول قيام رمضان لنا عدة تنبيهات:

التنبيه الأول: حول عدد صلاة التراويح:

فالناس مختلفون اختلافًا كبيرًا في عددها من إحدى عشرة ركعة إلى تسع وأربعين ركعة، وما بين هذين العددين، والذي يعنينا في هذا المقام أمور، منها:

أولاً: كم صلى رسول الله ﷺ؟

أصح ما ورد عنه ﷺ ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة»[1].

لكنه ﷺ كان يطيلها ويحسنها، كما ذكرت عائشة رضي الله عنها في هذا الحديث نفسه.

ثانياً: ما الذي فعله الصحابة؟

لما توفي النبي ﷺ زال الخوف أن تفرض صلاة التراويح؛ فأمر عمر رضي الله عنه المسلمين أن يجتمعوا على الصلاة، حيث دخل المسجد فوجدهم أوزاعًا: يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرجل والرجلان والرهط..؛ فرأى عمر أن يجمعهم على إمام واحد، فأمر أُبَيَّ بنَ كعب وتميمَ بنَ أوس الداري رضي الله عنهما أن يصليا بالناس. فكم -يا ترى- صليا بالناس؟

ورد في ذلك روايتان كلتاهما صحيحة، وهما من طريق السائب بن يزيد:

الرواية الأولى: أن عمر رضي الله عنه أمرهما أن يصليا بالناس إحدى عشرة ركعة.

والرواية الثانية: أن تميمَ بنَ أوس الداري وأُبَيَّ بنَ كعب رضي الله عنهما صلَّيا بالناس إحدى وعشرين، وفي رواية ثلاثًا وعشرين ركعة.

---

(١) البخاري (٢٠١٣)، ومسلم (٧٣٨).

أما رواية إحدى عشرة فهي في موطأ مالك[1]، وسندها صحيح.

وأما رواية إحدى وعشرين فهي في مصنف عبد الرزاق[2]، وسندها صحيح أيضًا. وفي النفس شيء من رواية عبد الرزاق ﷺ هذه، والذي يترجح نكارتها؛ لمخالفتها الثابت والأقوى منها لا سيما والحادثة واحدة، ويزيد بن رومان لم يدرك عمر، فكيف تكون الرواية صحيحة لا سيما وأنها خالفت الثابت الذي لا مطعن فيه كما عند مالك.

وأما رواية ثلاث وعشرين فهي في سنن البيهقي[3]، وسندها صحيح كذلك. فما الموقف من ذلك؟

بعض أهل العلم حكموا على رواية إحدى وعشرين وثلاث وعشرين بالشذوذ.

وبعضهم جمعوا بينها، كما فعل الحافظ ابن حجر ﷺ حيث قال: «والجمع بين هذه الروايات ممكن، باختلاف الأحوال، ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطوير القراءة وتخفيفها فحيث يطيل القراءة تقل الركعات وبالعكس»[4]، فهو يحمل على التنوع والتعدد بحسب الأحوال وحاجة الناس، فأحيانًا كانوا يصلون إحدى عشرة، وأحيانًا إحدى وعشرين، وأحيانًا ثلاثاً وعشرين، بحسب نشاط الناس وقوتهم، فإن صلوا إحدى عشرة أطالوا حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وإن صلوا ثلاثًا وعشرين خففوها، بحيث لا يشق ذلك على الناس. وهذا جمع حسن.

---

(١) الموطأ (٢٤٨)، والفريابي في كتاب الصيام (١٧٤)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٢٩٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٣٩٢).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٧٧٣٠)، من طريق محمد بن يوسف الكندي عن السائب بن يزيد.

(٣) سنن البيهقي (٣٢٧٠) من حديث مالك عن يزيد بن رومان.

(٤) الفتح (٤/ ٢٥٣).

وثمة احتمال آخر، وهو أن عمر ﷺ أمرهما أن يصليا بالناس إحدى عشرة ركعة - وهذا لم تختلف فيه الروايات -، ولكن أُبيًّا وتميمًا ﷺ صلَّيا بالناس إحدى وعشرين أو ثلاثًا وعشرين؛ فالأمر من عمر بإحدى عشرة، والفعل منهما كان بإحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، وذلك قد يكون بناء على أمر عرض لهما، رأياً فيه أن المصلحة أن يصليا إحدى وعشرين أو ثلاثاً وعشرين؛ لحاجة الناس إلى ذلك، كأن يكون الناس يستطيلون القيام والركوع والسجود وغيره حينما يصلون إحدى عشرة ركعة، فرأوا أن تكون الصلاة إحدى وعشرين، أو ثلاثًا وعشرين ركعة، يخففون فيها القيام، والركوع، والسجود؛ ليكون أمكنَ لهم في العبادة. وهذا الجمع ممكن أيضًا، وبذلك تأتلف النصوص.

وسواء صلَّى الناس إحدى عشرة، أو إحدى وعشرين، أو ثلاثًا وعشرين؛ فإن الأمر الذي ينبغي التنبيه إليه: أن ما ذهب إليه بعض أهل العلم من أنه لا تجوز الزيادة في التراويح على إحدى عشرة ركعة؛ قول ضعيف جدًا، لا ينبغي الالتفات إليه، لسببين:

الأول: لأن الأعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ يسأله عن صلاة الليل؛ قال له النبي ﷺ: «مثنى مثنى..»[1]، وهذا الأعرابي ما كان يعرف صفة صلاة الليل، ولم يكن يعلم كم كان ﷺ يصلي، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، فأطلق ﷺ ولم يقيد بعدد، فضلاً عن أن يعرف عددها، وقال له النبي ﷺ مع ذلك: «مثنى مثنى» أي: تُسَلِّم من كل ركعتين، ولم يحدد له في ذلك عددًا محدودًا؛ بل أطلق الأمر.

الثاني: أن النوافل المطلقة جائزة على الإطلاق ليلاً ونهارًا، إلا في أوقات النهي، فلو صلى الإنسان قبل الظهر، أو بعد الظهر، أو بعد المغرب، أو بعد العشاء، أو في

(١) رواه البخاري (٤٧٢)، ومسلم (٧٤٩) من حديث عبد الله بن عمر ﷺ.

الضحى ما تيسر له: ركعتين، أو أربعًا، أو عشرًا، أو عشرين؛ فلا بأس، فهذه نوافل مطلقة، وجماهير الأمة - بما فيهم الأئمة الأربعة- على أنها لا تُحدّ بعدد لا تجوز الزيادة عليه، وإن كان منهم من يقول: إن هناك عددًا أفضل من عدد آخر. قال القاضي عياض في شرح مسلم: «ولا خلاف أنه ليس في ذلك حدٌّ يزاد عليه ولا ينقص منه، وأن صلاة الليل من الفضائل والرغائب التي كلما زيد فيها زيد في الأجر والفضل» اهـ.

التنبيه الثاني:

أن الصلاة عمومًا - بما في ذلك النافلة- إنما شرعت لتهذيب النفوس، وتصفية القلوب وتطهيرها من الحقد والحسد والبغضاء، وجعلها متآخية متحابة متقاربة، وهذا من أعظم مقاصد العبادات، وهذا أمر ملحوظ؛ فإن العبد إذا أقبل على صلاته رقَّ قلبه، وسَمتْ نفسه، فكيف يجوز أو يسوغ شرعًا أو عقلاً أن يكون هذا الأمر الذي شرع لهذه المقاصد السامية مجالاً للخصام والتنافر والتباغض بين بعض طلبة العلم، حينما يسوِّدون الصفحات الكثيرة خصامًا في صلاة التراويح، أو هجومًا، أو ردًّا، أو تشهيرًا ببعض؟! كما قد يقع ذلك - أيضًا- من العامة في المساجد إذا دخل رمضان، فهم بين قائل للإمام: صلِّ إحدى عشرة، وقائل: صلِّ عشرين، وقائل: خفِّف الصلاة، وقائل: أسرع فيها، وقائل: أبطئ.. وهكذا يختلفون على الإمام، وتتحول العبادة التي شرعها الله تعالى لتهذيب الأمة أفرادًا ومجتمعات، ولجمع الكلمة، إلى ميدان لأضداد مقاصدها، فنسأل الله أن يرد الأمة إلى الفقه في دينه، والاجتماع عليه.

إن جمع الكلمة، وسلامة القلب، وطهارة النفس، من مقاصد الشرع المُجمع عليها عند جميع المسلمين، أما عدد الركعات فمن المختلف فيه، فكيف نقدِّم العناية بالمختلف فيه على العناية بالمجمع عليه؟!

التنبيه الثالث:

أن من المهم التوسعة في هذه الأمور على الناس، فإننا نعلم من هدي الإسلام أنه دين يسر وسماحة، ومن نماذج ذلك ما جاء في الحديث المتفق عليه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهما: أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع، فجعلوا يسألونه، فقال رجل: لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح، قال: «اذبح ولا حرج»، فجاء آخر فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي، قال: «ارم ولا حرج»، فما سئل يومئذ عن شيء قُدِّم ولا أُخِّر إلا قال: «افعل ولا حرج»[1].

فكان ﷺ يحب التوسعة على أمته، وهذا المسلك نجد علماء أهل السنة يسلكونه عبر العصور، وهكذا يجب علينا في هذا العصر أن نبتعد عن المشقة على الناس في صلاة التراويح وفي غيرها، ومن الابتعاد عن المشقة أن يراعي الإمام حال المأمومين، فإن كان يشق عليهم -مثلاً- إذا صلى بهم عشرين ركعة؛ فليصل بهم عشرًا، وهذا أوفق وأقرب للسنة.

وإن كان أكثرهم اعتادوا على عشرين ركعة، وهي أخف عليهم من عشر يطول الوقوف فيها؛ فليصل بهم عشرين ولا حرج؛ إذ ليس ثمة حدٌّ لصلاة التراويح، وإنما الذي تجب مراعاته أن تكون مَثْنى مَثْنى.

فالحاصل: أنه ينبغي مراعاة حال الناس في شأن صلاة التراويح كما تبيَّن، وإن كان الأصل أن يكون العامة تبعًا لعلمائهم وأئمتهم، وطلاب العلم منهم، وليس الأصل أن يفرِضَ العامةُ على الإمام عدد صلاة التراويح، وإنما يراعى حالهم؛ إزالة للمشقة، ودفعًا للخلاف بين المصلين.

---

(١) البخاري (٨٣)، ومسلم (١٣٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. وأخرجه البخاري (٨٤)، ومسلم (١٣٠٧) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

روى مسلم رحمه الله في صحيحه عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت»، وفي رواية: سئل رسول الله ﷺ: أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت»[1].

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله مبيناً معنى هذا الحديث: «فالنبي ﷺ بيَّن أن طول القنوت أفضل الصلاة، وهو يتناول القنوت في حال السجود وحال القيام، وأن تطويل الصلاة قياماً وركوعاً وسجوداً أولى من تكثيرها قياماً وركوعاً وسجوداً؛ لأن طول القنوت يحصل بتطويلها لا تكثيرها»[2]. انتهى المراد من كلامه رحمه الله.

وهذا موافق من وجوه لقول الشافعي رحمه الله: «إن أطالوا القيام وأقلوا السجود فحسن، وأن أكثروا السجود وأخفوا القراءة فحسن، والأول أحب إليَّ». نقله الحافظ ابن حجر في الفتح، رحم الله الجميع[3].

على أن بعض الأئمة فصل في هذه المسألة -أعني المفاضلة بين التكثير والتطويل- فجعل التطويل لصلاة الليل، والتكثير للركوع والسجود لصلاة النهار جمعاً بين الأدلة. وهذا قول إسحاق رحمه الله ومن وافقه، وهو قول جميل يجمع بين معاني أدلة الباب ويأخذ بها.

وقد قال أحمد رحمه الله: «يقرأ بالقوم في شهر رمضان ما يخفّ على الناس ولا يشق عليهم لاسيما في الليالي القصار، والأمر على ما يحتمله الناس». نقله الموفق ابن قدامة في المغني[4].

---

(١) مسلم (٧٥٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٧١)

(٣) الفتح (٤/ ٢٥٣)

(٤) المغني (١/ ٨٣٣)

فليراع الإمام -وفقه الله- ترك المشقة، وتأليف الناس على صلاة التراويح بتخفيفها وتسهيل إكمالها، والاعتناء بالقراءة، مع تهيئة جو المسجد وما حوله، وإبعاد كل ما هو سبب في الإزعاج أو المضايقة، أو تكدير نفوس وفود الله تعالى في بيته.

من معاني الصوم

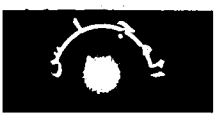

» «كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [البقرة:١٨٣]

للصيام معانٍ عظيمة، ومقاصدُ سامية، لو تأملناها وتفكرنا فيها مليّاً لطال عجبنا، ولأدركنا مدى عظمة هذا التشريع، وربما ندرك قليلاً منها، ويخفى علينا أكثرُها، فمنها:

المعنى الأول: تحقيق معنى العبودية لله تبارك وتعالى والاستسلام له؛ ولهذا كان الصيام أحد أركان الإسلام بالاتفاق، فالإسلام لا يتم إلا بالصيام، والصيام فيه تدريب العبد على الطاعة والامتثال، وتذكيره بأنه عبد لله تبارك وتعالى لا لغيره، ولهذا أمر الله ﷻ العبد أن يأكل في وقت، فلو صام لكان عاصيًا، كما في العيد أو الوصال على خلاف فيه، وفي أحوال أخرى يأمره سبحانه بالصوم، فلو أفطر لكان عاصيًا.

وهكذا يتحقق هذا المعنى في الإحرام أيضاً؛ فالعبد يمنع من أشياء في الإحرام، ويؤمر بها في غيره؛ ليتذكر بها أنه عبد لله ﷻ يأتمر بأمره، ويقف عند حده.

وهذا معنى عظيم، لو أن الناس أدركوه وتفطنوا له في عباداتهم لكان أثره ممتداً في حياتهم كلِّها، وليس مقصورًا على الأركان المعروفة، فهو يجعل المسلم في أحواله كالجندي الملتزم الذي يده على الزناد وهو واقف مستعد، إذا أُمر أن يُقدِم أقدم، وإذا أُمر أن يُحجِمَ أحجم.

فالصوم تربية على كمال العبودية لله؛ فالقضية ليست مجرد شهوات وأذواق؛ بل هي طاعة محضة لله وتنفيذ لأوامره.

والعبودية لله جل جلاله من أعظم مقاصد الصوم؛ بل ومقاصد العبادات كلها، وكثير من المسلمين يُخِلُّون بهذا المعنى، فقد يلتزمون ببعض العبادات؛ لكنها فقدت روحها عندهم، فأصبحت لا تؤثر فيهم الأثر المطلوب في تحقيق معنى العبودية لله تبارك وتعالى.

ولعمري إن العبودية لله هي الحرية الحقَّة، فكمال الحرية في كمال العبودية.

ومما زادني شرفاً وتيهاً ... وكدت بأخمصي أطأ الثُّريا

دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيَّرت أحمدَ لي نبيًّا

وقال آخر:

أطعتُ مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لكنت حرًّا

المعنى الثاني: الصوم مرتبط بالإيمان؛ فهو عبادة سرية بين العبد وبين ربه، فالصائم بإمكانه أن لا يصوم إن شاء، سواء بمأكول أو مشروب أو بمجرد النية، وإن أمسك طوال نهاره، وظهر للناس أنه صائم.

فامتناع العبد عن المفطرات مع قدرته عليها خِفْيةً، دليل استشعاره اليقيني باطلاع ربه على سرائره وخفاياه.

ولو تأملت -أخي الصائم- لوجدت هذا السرَّ الإيماني يجري في سائر العبادات، فالوضوء والغسل -مثلاً- يتطهر بهما العبدُ من الأحداث، ولو أتى إلى الصلاة دون طهور لما علم به الناس، وكذلك الصلاة بأذكارها: من قراءة قرآن، وتسبيح في السجود والركوع، يقول المصلي ذلك سراً لا يسمعه من يجاوره، وما حمله على ذلك إلا إيمانه العميق بربه الذي يعلم السرَّ وأخفى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧].

المعنى الثالث: أنه يربي العبد على التقوى؛ ولهذا قال الله جل جلاله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة:١٨٣]؛ لأن الصائم يتذكر أنه لا يشرب ولا يأكل مع أن هذا في

الأصل مباح له؛ لأنه مرتبط مع الله ﷻ بوعد، فهو ممسك ابتغاء ثواب الله سبحانه، فمن باب أولى أن يكُفَّ عن المعاصي التي يعرف أنها محرمة في كل الظروف، وهذا المعنى لو عقله المسلمُ لعرف سرَّ الصيام ومعناه، فكيف يمسك عن الطعام والشراب مع أنهما مباحان في الأصل، ثم يُقبِل على الغيبة أو النميمة أو قول الزور أو شهادة الزور أو غير ذلك؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[1].

ومعنى الحديث: أن الله جل جلاله لم يشرع الصيام لحاجته إليكم أن تدعوا طعامكم وشرابكم، وإنما شرع الصيام من أجل أن تتدربوا على ترك قول الزور والعمل به، فإذا لم تتركوا قول الزور ولم تتركوا العمل به فأي معنى لصيامكم؟!

فإذا لم يحدث الصيام فيكم هذا المعنى فصيامكم حينئذ غير ذي جدوى لهذه العلة. وهذا معنى لطيف جدًا إذا تأمله الصائم وجده ظاهرًا، فالصوم يربي الإنسان على التقوى، وترك المحرمات كلها: من الغيبة، والنميمة، والفحش، والبهتان، وغيرها من الأخلاق السيئة.

المعنى الرابع: الصوم تربية للمجتمع؛ فالصائم عندما يرى من حوله صياماً يحس بتلاحم المجتمع بجانب عبادي يلتقي عليه الجميع، وهذا من بين الأسباب التي سهل لأجلها صوم الفرض وصعب فيها صوم النافلة، فصائم رمضان أينما ذهب وجد من حوله صائمين، ويستشعر مشاركة الجميع له، وأنه يقوم بعمل عادي كل الناس يؤدونه بخلاف النافلة.

ومن هنا أيضاً أصبح الصوم تربية للمجتمع، حتى المجتمعات التي يغلب عليها الفساد تجد آثار رمضان ظاهرة على عمومه، حتى من عرف بتقصيره في الدين، وهذا

(١) البخاري (١٩٠٣).

من بركة هذا الشهر وتلك التربية.

المعنى الخامس: الصيام يربِّي العبدَ على التطلُّع إلى الدَّار الآخرة؛ فالصائم يترك بعض الأمور الدنيوية تطلعاً إلى ما عند ربه من الأجر والثواب، فمقياس ربحه وخسارته مقياس أخروي، فهو يترك الأكل والشرب والملذات في نهار رمضان انتظاراً للجزاء الحسن والثواب العظيم يوم القيامة، وفي ذلك أعظم الدروس لتوطين قلب الصائم على الإيمان بالغيب والآخرة، والتعلق بها، والترفُّع عن عاجل ملاذِّ الدنيا التي تقود إلى التثاقل والإخلاد إلى الأرض. هذا مع وافر أجره في الدنيا، ونعيم حياته بصحة البدن، وفرح القلب بالطاعة، وانشراح الصدر بالإيمان.

وأصحاب المقاييس المادية لا يرون في الصوم أكثر من حرمان من لذة الأكل والشرب والوقاع، والتي بها سعادة النفس وتلبية الحاجات الجسمية.

المعنى السادس: الصوم يربي الإنسان على قوة الإرادة، وعلى الصبر؛ فمن أسماء الصوم الصبر، ولذلك سمي شهر رمضان شهر الصبر؛ بل في قول الله جل جلاله: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة:٤٥]، قال بعض المفسرين: المقصود بالصبر هنا الصوم. أي: استعينوا بالصوم والصلاة؛ وذلك لأن الصوم يربي ملكة الصبر وقوة الإرادة، وكثير من الناس يحتاجون دائمًا إلى تقوية في إرادتهم.

والنجاح يفتقر إلى ثلاثة أشياء:

١- الرغبة: فكل إنسان يود أن يكون قويًا، وأن يكون ناجحًا، وموفقًا، وغنيًا، ونحو ذلك.

٢- القوة أو القدرة: فأكثر الناس يملك عقلاً، وجسماً، وإمكانيات لو وظفها لنجح.

٣- الإرادة: فتقوية الإرادة من أعظم أسباب النجاح للإنسان في دنياه وأخراه.

والصوم يقوي ذلك كله ويوظفه، ويربي الإنسان على تحمل المشاق في أمور الحياة كلها، وهو شيء لا يوجد إلا عند الناجحين الذين استطاعوا أن يحققوا هذه الرغبات من خلال استخدام ما وهبهم ربهم.

المعنى السابع: الصوم يقمع الشهوة؛ ولهذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[(١)]، متفق عليه.

فأشار النبي ﷺ إلى أن الصوم يمنع من اندفاع الإنسان إلى الشهوات، وربط بعض أهل العلم هذا الحديث بالحديث الآخر المتفق عليه من حديث صفية رضي الله عنها، وفيه قول النبي ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[(٢)]، وفي رواية زيادة: «فضيقوا مجاريه بالجوع أو بالصوم»؛ لكن هذه الزيادة باطلة ليس لها أصل، ولا تعرف في شيء من كتب الحديث.

فالصوم يقمع الشهوة، وقد يكون قمع الصيام للشهوة بأنه يضيق المجاري كما يقول بعض العلماء، وقد يكون -وهو الأقرب- أن قمع الصوم للشهوة من خلال تلبس الإنسان بعبادة معينة وارتباطه بها، فهذا يمنعه من الاندفاع والنظر الحرام، ويمنعه من الوقوع فيما حرم الله.

المعنى الثامن: الآثار النفسية والبدنية المترتبة عليه؛ وهي كثيرة جدًا، فقد يتكلم بعض الأطباء عن الصيام وأثره على البدن، وتنظيم الطعام، وأنه نوع من الحمية، وقد يوصي به بعض أهل الطب، ولا شك أن هذه الأشياء من الفوائد التابعة، كما يقال مثل

(١) البخاري (٤٧٧٨)، ومسلم (١٤٠٠).

(٢) البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (٢١٧٥).

هذا عن الصلاة أو عن الحج أو عن غيرها؛ لكن المسلم في الأصل إنما يتمثل هذه الأشياء تعبدًا لله جل جلاله وطاعة، حتى ولو لم يكن لها فائدة على بدنه؛ بل لو كان في العبادة ضرر على البدن لكان على الإنسان أن يفعلها، والله ﷻ لم يأمرنا بما فيه ضرر إلا في حالة واحدة، وذلك إذا كان يقابله نفع أعظم منه.

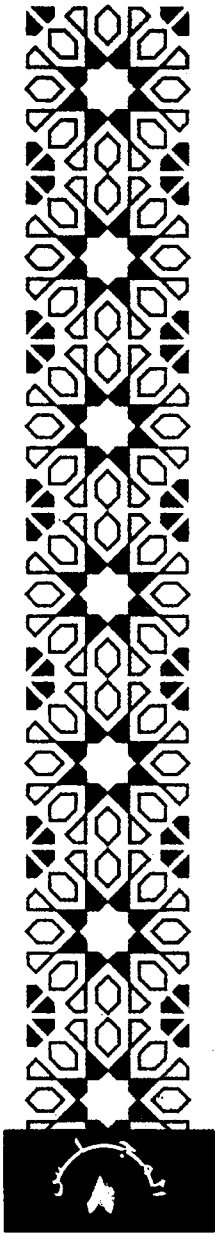

الصوم والصحة

«الصوم جنة»

يقول ابن القيم رحمه الله: «الصوم جُنة من أدواء الروح والقلب والبدن؛ مَنافعُه تفوت الإحصاء، وله تأثير عجيب في حفظ الصحَّة، وإذابةِ الفضلات، وحبس النفس عن تناول مؤذياتها، ولاسيما إذا كان باعتدال وقصد في أفضل أوقاته شرعاً، وحاجة البدن إليه طبعاً، ثم إنّ فيه من إراحة القوى والأعضاء ما يحفظ عليها قواها، وفيه خاصية تقتضي إيثاره، وهي تفريجه للقلب عاجلاً وآجلاً، فهو أنفع شيء لأصحاب الأمزجة الباردة والرطبة، وله تأثير عظيم في حفظ صحتهم.

وهو يدخل في الأدوية الروحانية والطبيعية، وإذا راعى الصائم فيه ما ينبغي مراعاته طبعاً وشرعاً؛ عظم انتفاع قلبه وبدنه به، وحبس عنه المواد الغريبة الفاسدة التي هو مستعِدٌّ لها، وأزال الموادَّ الرديئةَ الحاصلةَ بحسب كماله ونقصانه، ويحفظ الصائم مما ينبغي أن يتحفظ منه، ويعينه على قيامه بمقصود الصوم وسره وعلته الغائية؛ فإنّ القصد منه أمر آخر وراء ترك الطعام والشراب، وباعتبار ذلك الأمر اختصَّ من بين الأعمال بأنه لله سبحانه، ولمَّا كان وقايةً وجُنةً بين العبد وبين ما يؤذي قلبه وبدنه عاجلاً وآجلاً قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة:١٨٣]، فأحد مقصودَي الصيام: الجُنة، والوقاية؛ وهي حِمْية عظيمةُ النفع.

والمقصود الآخر: اجتماعُ القلب والهمِّ على الله تعالى، وتوفيرُ قُوى النفس على محابِّه وطاعته»[1].

(١) الطب النبوي لابن القيم (ص:٢٥٨-٢٥٩).

ومع أن الصوم عبادة جزاؤها الأجر والثواب في الآخرة، ورضوان المولى جل وتعالى، والطمأنينة في الدنيا بطاعة الله وذكره، وسرور القلب بإنجاز العمل؛ إلا أن من بديع الحكمة والرحمة أن يتعبدنا ربنا بما فيه خيرنا في العاجل والآجل، فتكون العبادات سبباً في العافية وصحة البدن ونظافته، ومن فوائد الصوم القيِّمة للجسد والروح والنفس ما يلي:

١- الصوم راحة للجسم يمكنه من إصلاح أعطابه ومراجعة ذاته.

٢- الصوم يوقف عملية امتصاص المواد المتبقية في الأمعاء، ويعمل على طرحها، والتي يمكن أن يؤدي طول مكثها إلى تحولها لنفايات سامة، كما أنه الوسيلة الوحيدة الفعالة التي تسمح بطرد السموم المتراكمة في البدن والآتية من المحيط الملوث.

٣- بفضل الصوم تستعيد أجهزة الإطراح والإفراغ نشاطَها وقوتَها، ويتحسن أداؤها الوظيفي في تنقية الجسم، مما يؤدي إلى ضبط الثوابت الحيوية في الدم وسوائل البدن. ولذا نرى الإجماعَ الطبي على ضرورة إجراء الفحوص الدموية على الريق، أي يكون المفحوص صائماً، فإذا حصل أن عاملاً من هذه الثوابت في غير مستواه فإنه يكون دليلاً على أن هناك خللاً ما.

٤- بالصوم يستطيع البدن تحليل المواد الزائدة والترسبات المختلفة داخل الأنسجة المريضة.

٥- الصوم أداة يمكن أن تعيد الشباب والحيوية إلى الخلايا والأنسجة المختلفة في البدن. ولقد أكدت أبحاثٌ علميةٌ أن الصوم سبب فيه إعادة الشباب الحقيقي للجسد.

٦- الصوم يضمن الحفاظ على الطاقة الجسدية، ويعمل على ترشيد توزيعها حسب حاجة الجسم.

٧- الصوم يُحسِّنُ وظيفةَ الهضم، ويسهل الامتصاص، ويسمح بتصحيح فرط التغذية.

٨- الصوم يفتح الذهنَ ويقوِّي الإدراك، وقديماً قيل: البطنة تذهب الفطنة.

٩- للصوم تأثيرات هامة على الجلد، تماماً كما يفعل مرهم التجميل، يُجَمل وينظف الجلد.

١٠- الصوم علاج شاف، هو الأكثر فعالية والأقل خطراً لكثير من أمراض العصر المتنامية؛ فهو يخفف العبء عن جهاز الدوران، وتهبط نسبة الدسم وحمض البول في الدم أثناء الصيام، فيقي البدين من الإصابة بتصلب الشرايين، وداء النقرس، وغيرها من أمراض التغذية والدوران وآفات القلب.

وهكذا وبعد أن ينظف الجسم من سمومه، وتأخذ أجهزته الراحة الفيزيولوجية الكاملة بسبب الصوم؛ يتفرغ إلى لأم جروحه وإصلاح ما تلف من أنسجته، وتنظيم الخلل الحاصل في وظائفها؛ إذ يسترجع الجسد أنفاسه ويستجمع قواه لمواجهة الطوارئ بفضل الراحة والاستجمام اللذين أتيحا له بفضل الصوم.

يقول الدكتور (ليك): يوفر الجسم بفضل الصوم الجهد والطاقة المخصصة للهضم، ويدخرها لنشاطات أخرى، ذات أولوية وأهمية قصوى؛ كالتئام الجروح، ومحاربة الأمراض.

وقد يشعر الصائم ببعض المضايقات في أيام صومه الأولى: كالصداع؛ والوهن، وتوتر الأعصاب، وانقلاب المزاج، وهذه تفسر بأن الجسم عندما يتخلص من رواسبه المتبقية داخل الأنسجة، ينتج عن تذويبها سموم تتدفق في الدم قبل أن يلقى بها خارج الجسم، وهي إذ تمر بالدم، تمر عبر الجسد وأجهزته كلها من قلب ودماغ وأعصاب، مما يؤدي إلى تخريشها أول الأمر وظهور هذه الأعراض، والتي تزول بعد

أيام من بدء الصيام.

ومن وصايا لقمان لابنه قوله: «يا بني! إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة».

وقال سفيان الثوري: «بقلّة الطعام يُملك سهرُ الليل».

وقال بعض السلف: «لا تأكلوا كثيرًا، فتشربوا كثيرًا، فترقدوا كثيرًا، فتخسروا كثيرًا».

وقال سحنون: «لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع»[1].

وهذه عشر فوائد جسدية ونفسية للجوع المنضبط بالصوم الشرعي:

الفائدة الأولى:

صفاء القلب، وإيقاد القريحة، وإنفاذ البصيرة؛ فإن الشبع يورث البلادة، ويعمي القلب، ويكثر البخار في الدماغ، فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار وعن سرعة الإدراك.

الفائدة الثانية:

رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لإدراك لذة المثابرة والتأثر بالذكر، فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب، ولكن القلب لا يلتذُّ به ولا يتأثر، وقد يرق في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة، وخلو المعدة هو السبب الأظهر فيه.

الفائدة الثالثة:

الانكسار والذل، وزوال البطر والفرحِ والأشرِ الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى، فلا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع.

---

(١) الشفا للقاضي عياض (١/ ٧٢).

الفائدة الرابعة:

أن لا ينسى بلاء الله وعذابه، ولا ينسى أهل البلاء؛ فإن الشبعان ينسى الجائع، وينسى الجوع.

الفائدة الخامسة:

وهي من أكبر الفوائد: كسرُ شهوات المعاصي كلِّها، والاستيلاءُ على النفس الأمارة بالسوء؛ فإن منشأَ المعاصي كلها الشهواتُ والقوى، ومادة القوى والشهوات -لا محالة- الأطعمة، فتقليلها يضعف كلَّ شهوة وقوة، وإنما السعادة كلُّها في أن يملك الرجل نفسه، والشقاوة في أن تملكَه نفسُه.

الفائدة السادسة:

دفع الكسل والخمول، فإن من شبع شرب كثيرًا، ومن كثر شربه كثر نومه، ولأجل ذلك قال بعض السلف: «لا تأكلوا كثيرًا، فتشربوا كثيرًا، فترقدوا كثيرًا، فتخسروا كثيرًا».

وفي كثرة النوم: ضياع العمر، وفوت التهجد، وبلادة الطبع، وقساوة القلب، والعمر أنفس الجواهر، وهو رأس مال العبد.

الفائدة السابعة:

تيسير المواظبة على العبادة، فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات؛ لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل، وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام ومئونته وغير ذلك.

الفائدة الثامنة:

يستفيد من قلة الأكل صحة البدن، ودفع الأمراض؛ فإن سببها كثرة الأكل، وحصول فضلة الأخلاط في المعدة والعروق؛ ثم المرض يمنع من العبادات، ويشوش القلب، ويمنع من الذكر والفكر، وينغص العيش، ويحوج إلى الدواء والطبيب.

حُكي أن الرشيدَ جمع أربعة أطباء: هندي، ورومي، وعراقي، وسوادي، وقال: ليصف كلٌّ واحد منكم الدواءَ الذي لا داء فيه.

فقال الهندي: الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الإهليلج الأسود.

وقال العراقي: هو حب الرشاد الأبيض.

وقال الرومي: هو عندي الماء الحار.

وقال السوادي -وكان أعلمهم-: الإهليلج يعفص المعدة، وهذا داء، وحب الرشاد يزلق المعدة، وهذا داء، والماء الحار يرخي المعدة، وهذا داء. قالوا: فما عندك؟ فقال: الدواء الذي لا داء معه عندي: أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه، وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه، فقالوا: صدقت.

الفائدة التاسعة:

خفة المئونة والاقتصاد في النفقة؛ فإن من تعوَّد قلةَ الأكل كفاه من المال قدرٌ يسير، والذي تعود الشبع صار بطنه غريمًا ملازمًا له آخذًا بمخنقه في كل يوم، فيقول: ماذا تأكل اليوم؟ فيحتاج إلى أن يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيَعصي، أو من الحلال فيذلّ.

الفائدة العاشرة:

أن يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين، فينعم يوم القيامة بفضل صدقته[1].

(١) بتصرف من إحياء علوم الدين (٣/ ٨٤).

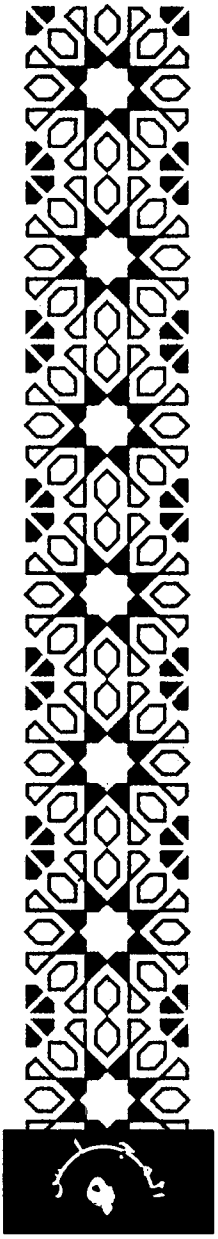

شهر الجود

«فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة»

الجودُ والكرمُ من مكارم الأخلاق التي من تحلَّى بها أحبَّه الله وأحبَّه الناس، وهي دليلُ المروءةِ والرجولة والإنسانية الصادقة. كرم النفس: بالمال والجاه، وبالعلم والوقت، وبالنفس والنفيس.

والجود عشر مراتب:

أحدها: الجود بالنفس، وهو أعلى مراتبه، كما قال الشاعر:

يجُودُ بالنَّفس إن ضَنَّ البخيلُ بها والجودُ بالنَّفْس أَقْصى غاية الجودِ

الثانية: الجود بالرياسة، فيحمل الجواد جوده على امتهان رياسته، والجود بها، والإيثار في قضاء حاجات الملتمس.

الثالثة: الجود براحته ورفاهيته وإجمام نفسه؛ فيجود بها تعباً وكداً في مصلحة غيره.

الرابعة: الجود بالعلم وبذله، وهو من أعلى المراتب، وهو أفضل من الجود بالمال؛ لأن العلم أشرف من المال، ومن جود العلم أن يُبذل لمن يسأل عنه ويُطرح عليه طرحاً، وأن يكون الجواب شافياً، وليس بقدر ما تُدفع به الضرورة.

الخامسة: الجود بالنفع بالجاه؛ كالشفاعة، والمشي مع الرجل إلى ذي سلطان ونحوه، وذلك زكاة الجاه المطالب بها العبد.

وإذا امرؤٌ أهدى إليك صنيعةً   من جاهه فكأنَّها من ماله

السادسة: الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه، كما قال ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»(1) متفق عليه.

السابعة: الجود بالعرض، كما روي بسند فيه مقال أن رسول الله ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم؟ قالوا: ومن أبو ضمضم؟ قال: رجل فيمن كان قبلكم قال: عرضي لمن شتمني»(2)، وفي هذا الجود من سلامة الصدر، وراحة القلب، والتخلص من معاداة الخلق ما فيه.

الثامنة: الجود بالصبر والاحتمال والإغضاء، وهو أنفع لصاحبه من الجود بالمال، ولا يقدر عليه إلا النفوس الكبار؛ فمن صعب عليه الجود بماله فعليه بهذا الجود، فإنه يجتني ثمرة عواقبه الحميدة في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾ [المائدة:٤٥]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٤].

التاسعة: الجود بالخُلُق والبشر والبسطة، وهو الذي بلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وهو أثقل ما يوضع في الميزان، وفيه من المنافع والمسار وأنواع المصالح ما فيه، والعبد لا يمكنه أن يسعَ الناسَ بحاله، ويمكنه أن يسعهم بخلقه واحتماله.

العاشرة: الجود بتركه ما في أيدي الناس، فلا يلتفت إليه ولا يستشرف له، وهذا الذي قال عبد الله بن المبارك: إنه أفضل من سخاء النفس بالبذل.

---

(١) البخاري (٢٨٢٧)، ومسلم (١٠٠٩).

(٢) أبو داود (٤٨٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٠٨٢).

ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إن الله كريمٌ يحبُّ الكرماء، جوادٌ يحبُّ الجود، يحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها»[1].

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر»[2].

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[3].

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه. قال: فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم! أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة»، قال أنس: «إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»[4].

وفيه أيضاً عن صفوان بن أمية رضي الله عنه قال: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما

---

(١) الطبراني في الكبير (٥٩٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٣١)، والحاكم في المستدرك (١٥٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٠١١) عن سهل بن سعد رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٤٤).

(٢) مسلم (٢٥٧٧).

(٣) البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٤) مسلم (٢٣١٢).

أعطاني وإنه لمن أبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي»[1].

وفي مغازي الواقدي: «أن النبي ﷺ أعطى صفوان يومئذ وادياً مملوءاً إبلاً ونعماً فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي»[2].

وفي صحيح البخاري أن محمد بن جبير قال: أخبرني جبير بن مطعم: «أنه بينا هو مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقبلاً من حنين علقت رسولَ الله ﷺ الأعرابُ يسألونه، حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف رسول الله ﷺ فقال: أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العضاه نعَمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا ولا كذوبًا ولا جبانًا»[3].

وخرج البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: «أن امرأة جاءت النبي ﷺ ببردة منسوجة فيها حاشيتها، أتدرون ما البردة؟ قالوا: الشملة. قال: نعم. قالت: نسجتها بيدي فجئت لأكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فحسنها فلان فقال: اكسنيها، ما أحسنها. قال القوم: ما أحسنت، لبسها النبي ﷺ محتاجًا إليها، ثم سألته وعلمت أنه لا يرد. قال: إني والله ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني. قال سهل: فكانت كفنه»[4].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ على بلال وعنده صُبرة من تمر، فقال: «ما هذا يا بلال؟» قال: أعد ذلك لأضيافك، قال: «أما تخشى أن يكون لك دخان في نار جهنم؟ أنفق بلال! ولا تخش من ذي العرش إقلالاً»[5].

---

(١) مسلم (٢٣١٣).

(٢) تاريخ دمشق (٢٤/ ١١٤).

(٣) البخاري (٢٩٧٩).

(٤) البخاري (١٢١٨).

(٥) رواه البزار (١٩٧٨) والطبراني في الكبير (١/ ٣٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩١٢).

كان جوده ﷺ كلُّه لله، وفي ابتغاء مرضاته، فإنه كان يبذل المال إما لفقير أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله، أو يتآلف به على الإسلام فيعطي عطاءً يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهرُ والشهران لا يوقد في بيته نار، وربما ربط على بطنه الحجرَ من الجوع، وكان قد أتاه سبي فشكت إليه فاطمة ما تَلْقى من خدمة البيت، وطلبت منه خادماً يكفيها مئونة بيتها، فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها، وقَالَ: «لا أعطيك خادماً وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع...»[1].

تعوَّد بسْطَ الكف حتى لو أنه ... ثناها لقبض لم تجبه أناملُه
تراه إذا ما جئتَه متهلِّلاً ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله
هو البحر من أيِّ النواحي أتيته ... فلجَّتُهُ المعروف والجود ساحله
ولو لم يكن في كفِّه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائلهُ

وللجود في رمضان خاصة فوائد:

منها: شرف الزمان ومضاعفة أجر العامل فيه.

ومنها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم.

وعن زيد بن خالد الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «من فطر صائمًا كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[2].

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، كما جاء في حديث

---

(١) مسند الحميدي (٤٤)، ولطائف المعارف (١٧٥).

(٢) أحمد في مسنده (١٧٠٧٤)، والترمذي (٨٠٧)، وابن ماجة (١٧٤٦)، وابن حبان (٣٤٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١٥).

علي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن في الجنة غرفًا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى لله بالليل والناس نيام»[1].

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم، والمباعدة عنها، وخصوصاً إذا ضمَّ إلى ذلك قيامَ الليل.

فالصيام جُنَّة، وفي حديث معاذ: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل»[2].

وفي الحديث الذي رواه البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[3].

ومنها: أن الصدقة تجبر ما في الصوم من خلل، فالصيام لا بد أن يقع فيه خلل أو نقص، وتكفير الصيام للذنوب مشروط بالتحفُّظ مما ينبغي التحفُّظ منه.

كان ابن عمر يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين، فإذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه للسائل، فيرجع وقد أكل أهلُه ما بقي في الجَفْنة، فيصبح صائماً ولم يأكل شيئاً، وكان يتصدق بالسكر ويقول: «سمعت الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝﴾ [آل عمران:٩٢]، والله يعلم أني أحب السكر»[4].

---

(١) الترمذي (١٩٨٤)، مصنف ابن أبي شيبة (٢٥٧٤٣)، وحسنه الألباني.

(٢) الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجة (٣٩٧٣)، وأحمد (٢٢٠٦٩)، وصححه الألباني.

(٣) البخاري (١٣٥١)، ومسلم (١٠١٦).

(٤) إحياء علوم الدين (١/ ٢٢٦).

واشتهى بعض الصالحين من السلف طعاماً وكان صائماً؛ فوضع بين يديه عند فطوره، فسمع سائلاً يقول: من يقرض الغنيَّ الوفيَّ؟

فقال: عبدُه المعدمُ من الحسنات، فقام وأخذ الصَّحْفة، فخرج بها إليه وبات طاوياً.

وجاء سائل إلى الإمام أحمد، فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره ثم طوى وأصبح صائماً.

وكان الحسن يُطعم إخوانَه وهو صائم تطوعاً، ويجلس يروِّحُهم وهم يأكلون.

وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم.

لا تعرضن لذكرِنا في ذكرِهم   ليس الصحيحُ إذا مَشَى كالمُقعَدِ

قال الشافعي: «أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان، اقتداء برسول الله ﷺ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم»، وكذا قال القاضي أبو يعلى وغيره[1].

وفي الأثر: «أفضل الأعمال أن تُدخِل على أخيك المؤمن السرور، أو تقضي عنه ديناً، أو تطعمه خبزاً»[2].

وجاء مرفوعاً وموقوفاً والموقوف أصح: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً...» الحديث[3].

---

(١) لطائف المعارف، (ص: ١٧٨ - ١٧٩).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (١١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة(٧٦٧٨)، وابن عيد عن ابن عمر، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٩٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (٣٦)، والطبراني في الكبير عن ابن عمر(١٣٦٤٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦).

وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل والصائم النهار»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «بينما كلب يطيف برِكْيَةٍ قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فاستقت له به فسقته إياه فغفر لها به»[2]، أو «غفر لامرأة مومسة مرَّت بكلب على رأس ركي يلهث. قال: كاد يقتله العطش، فنزعت خفَّها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغُفِر لها بذلك»[3]، هذا في كلب، فما ظنك بالصائم الطائع لربه! وما ظنك بعظيم المغفرة حتى لمومسة!

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة، كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً»[4].

وقال الشعبي: «من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه»[5].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «لما مات النبي ﷺ جاء أبا بكر مالٌ من قبل العلاء بن الحضرمي، فقال أبو بكر: من كان له على النبي ﷺ دين أو كانت له قبله عدة فليأتنا»[6].

---

(١) البخاري (٥٠٣٨)، ومسلم (٢٩٨٢) واللفظ لمسلم.

(٢) البخاري (٣٢٨٠)، ومسلم (٢٢٤٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) البخاري (٣١٤٣).

(٤) البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (١٠٢٤).

(٥) إحياء علوم الدين (١/ ٢٢٦).

(٦) البخاري (٢٥٣٧)، ومسلم (٢٣١٤)، وأحمد (١٤٣٤٠).

مع الرسول في الصوم

» قالت عائشة: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم»

الصوم لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، و هو لرب العالمين من بين سائر العبادات والأعمال: «الصوم لي وأنا أجزي به»[1].

وتأثيره على الروح والبدن من أعجب ما تتأمله العقول الراجحة، وذلك شيء مشهود بالألباب الصحيحة، والفطر السليمة، وهدي النبي ﷺ فيه أكمل هدي، وأعدله، وأتمه، وأصحه، وأسهله.

وقد كان النبي ﷺ يكثر من العبادات في رمضان، ويجتهد ما لا يجتهده في غيره؛ فكان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان يكثر من الصدقة والإحسان، وتلاوة القرآن، والصلاة، والذكر، والاعتكاف وغيره.

وكان لرمضان عنده مزية لا يخص بها غيره، حتى إنه كان يواصل فيه ليوفر ساعات ليله ونهاره للعبادة، وكان ينهى أصحابه عن الوصال؛ معللاً ذلك بأنَّه ليس كهيئتهم، وأنَّه ﷺ يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه[2].

لها أَحادِيثُ مِن ذِكْراكَ تَشْغَلُها ... عن الشراب وتلهيها عن الزَّادِ

لها بوجهك نُورٌ تَسْتَضِيءُ بهِ ... ومن حديثك في أَعْقابها حادِي

إذا شكتْ من كلالِ السيرِ أَوْعدها ... روحُ القدومِ فتحيا عند ميعادِ

(١) البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) البخاري (١٨٢٢)، ومسلم (١١٠٥).

وكان ﷺ يعجل الفطر ويرغب فيه، ويتسحر ويؤخره ويحض عليه.

وكان من هديه الفطر على الرطب، فإن لم يجد فعلى التمر، فإن لم يجد فعلى الماء، وهذا مراعاة للطبيعة بدخول الحلو على خلو في المعدة، وكذلك انتفاع الكبد بعد الصوم بالماء فيه من الإعجاز ما لا يخفى كان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات، فإن لم تكن حَسَا حَسَوَات من ماء»[1].

وكان رسول الله ﷺ إذا أفطر قال: «ذهب الظَّمأُ، وابتلَّت العروق، وثبت الأَجر إنْ شاء الله»[2].

وقد صام رسول الله ﷺ وأفطر في سفره، وخيَّرَ أصحابه بين الفطر والصوم، وكان يأمرهم بالفطر أحياناً إذا دنوا من قتال عدوهم.

وقد كانت أعظم غزوات النبي ﷺ وأجلها في رمضان، وهي غزوة بدر والفتح، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «غزونا مع رسول الله ﷺ في رمضان غزوتين يوم بدر والفتح فأفطرنا فيهما»[3].

وأدرك النبي ﷺ الفجر يوماً في رمضان وهو جنب من أهله، فاغتسل بعد الفجر وصام.

ففي الصحيح عن سليمان بن يسار أنه سأل أم سلمة رضي الله عنها عن الرجل يصبح جنباً أيصوم؟ قالت: «كان رسول الله ﷺ يصبح جنبًا من غير احتلام ثم يصوم»[4].

ورحمة بأمته ﷺ كان من هديه إسقاط القضاء عمن أكل أو شرب ناسياً، فعن

(١) أبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦).

(٢) أبو داود (٢٣٥٧)، وحسنه الألباني.

(٣) الترمذي (٧١٤).

(٤) مسلم (١١٠٩).

أبي هريرة ﷺ عَنِ النَّبِي ﷺ قال: «إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه»[1].

ولم يصح عنه شيء في النهي عن الكحل للصائم، وكان يستاك وهو صائم، ولا فرق في ذلك بين أول النهار وآخره.

وكان ﷺ يصوم حتى يقال: لا يفطر، ويفطر حتى يقال: لا يصوم، ففي الصحيح عن عائشة ﷺ قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان»[2].

وكان النبي ﷺ أول الأمر يصوم يوم عاشوراء قبل أن يفرض عليه صيام رمضان، وذلك حين قدم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟»، قالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغْرَق فرعون وقومه؛ فصامه موسى شكرًا؛ فنحن نصومه. فقال رسول الله ﷺ: «فنحن أحق وأَوْلى بموسى منكم»، فصامه رسول الله ﷺ، وأمر بصيامه[3]. وقال جماعة من العلماء: إنه كان واجبًا.

وفي الصحيحين من حديث الربيع بنت معوذ ﷺ قالت: أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: «من كان أصبح صائمًا فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه» -أي يمسك بقية يومه- فكنا بعد ذلك نصومه، ونُصَوِّمُ صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد، فنجعل لهم اللعبة

(١) البخاري (١٨٣١)، ومسلم (١١٥٥).

(٢) البخاري (١٨٦٨)، ومسلم (١١٥٦).

(٣) البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (١١٣٠).

من العهن (أي الصوف)، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك، حتى يكون عند الإفطار[1].

فلما فُرِضَ رمضان كان صوم عاشوراء سُنَّة؛ من شاء صامه، ومن شاء تركه.

وكان ﷺ إذا كان بعرفة أفطر؛ ففي الصحيحين عن أُم الفضل بنت الحارث ﵂: «أن ناسًا اختلفوا عندها يوم عرفة في صوم النبي ﷺ، فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه»[2].

وكان من سماحته ولين جانبه مع أهله وتعامله بتلقائية مطلقة أنه دخل عليهم ذات يوم فقال: «هل عندكم شيء؟». قالوا: لا. قال: «فإنِّي إذًا صائم»، ثم أتاهم يوماً آخر فقالوا: يا رسول الله! أُهدَي لنا حَيْسٌ، فقال: «أرينيه فلقد أصبحت صائما»، فأكل[3]. بأبي هو وأمي ﷺ.

وكان يكره تخصيص يوم الجمعة بصوم، وقد ورد عنه ﷺ ذلك بالفعل والقول، ففي الصحيح عَنْ أبي هريرة ﵁ قال: سمعت النَّبي ﷺ يقول: «لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله أو بعده»[4].

وكان ﷺ يعتكف في رمضان العشر الأواخر منه حتى توفاه الله ﷻ، وتركه مرة فقضاه في شوال.

واعتكف مرة في العشر الأول، ثم الأوسط، ثم العشر الأخير، يلتمس ليلة القدر، ثم تبين له أنها في العشر الأخير، فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه ﷻ.

(١) البخاري (١٨٥٩)، ومسلم (١١٣٦).

(٢) البخاري (١٥٧٨)، ومسلم (١١٢٣).

(٣) مسلم (١١٥٤).

(٤) البخاري (١٨٨٤)، ومسلم (١١٤٤).

وكان يأمر بخباء فيضرب له في المسجد يخلو فيه بربه ﷻ، وكان إذا أراد الاعتكاف صلى الفجر ثم دخله، فأمر به مرة فضرب، فأمر أزواجه بأخبيتهن فضربت، فلما صلى الفجر نظر فرأى تلك الأخبية، فأمر بخبائه فقوض، وترك الاعتكاف تلك السنة في رمضان، حتى اعتكف في العشر الأول من شوال.

وكان يعتكف كل سنة عشرة أيام، فلما كان في العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً، وكان يعارضه جبريل بالقران كل سنة مرة، فلما كان ذلك العام عارضه به مرتين، وكان يعرض عليه القرآن أيضاً في كل سنة مرة، فعرض عليه تلك السنة مرتين.

وكان إذا اعتكف دخل قبته وحده، وكان لا يدخل بيته في حال اعتكافه إلا لحاجة الإنسان، وكان يُخرج رأسه من المسجد إلى بيت عائشة فترجله وتغسله وهو في المسجد وهي حائض، وكانت بعض أزواجه تزوره وهو معتكف، فإذا قامت تذهب قام معها، وكان ذلك ليلاً، ولم يباشر امرأة من نسائه وهو معتكف لا بقبلة ولا غيرها، وكان إذا اعتكف طُرح له فراشه ووُضع له سريره في معتكفه، وكل هذا تحصيلاً لمقصود الاعتكاف وروحه، عكس ما يفعله بعض الناس من اتخاذ المعتكف موضع عِشْرة، ومجلبة للزائرين، وأخذهم بأطراف الأحاديث، فهذا لون والاعتكاف النبوي لون آخر.

الموضوع والضعيف في الصوم

» "صوموا تصحوا"

جاء في مقدمة صحيح مسلم: أن عبيد الله بن عمر القواريري قال: سمعت حماد بن زيد يقول لرجل بعدما جلس مهدي بن هشام بأيام: ما هذه العين المالحة التي نبعت قبلكم؟ قال: نعم يا أبا إسماعيل.

والعين المالحة كناية عن ضعف مهدي بن هلال وجرحه في الحديث.

إن الحديث عن رسول الله شديد، وقد ورد في الحديث المتواتر عن ثمانين صحابياً أنه ﷺ قال: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

وهناك أحاديث تدور على الألسنة، وهي إما ضعيفة أو موضوعة، وينبغي أن يتنبه الصائم لها، ومنها:

١- حديث «صوموا تصحوا»[2].

حديث ضعيف، قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الطب النبوي، من حديث أبي هريرة بسند ضعيف. وقال الصغاني: موضوع، وقال في المختصر: ضعيف[3].

---

(١) البخاري (١٢٢٩)، ومسلم (٣).

(٢) الطبراني في الأوسط (٨٣١٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥٠٧٠)، أحاديث أبي عروبة الحراني (٤٥).

(٣) تخريج الإحياء (٣/ ٧٥)، والفوائد المجموعة للشوكاني (١/ ٩٠).

٢- عن سلمان رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: يا أيها الناس! قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعًا، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدَّى فريضة فيما سواه، ومن أدَّى فريضة فيه كان كمن أدَّى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائماً كان.....الحديث»[١].

قال الحافظ ابن حجر: «حديث ضعيف» اهـ[٢].

٣- ومن الأحاديث الضعيفة:

«الصائم في عبادة ما لم يغتب»[٣].

فيه عبد الرحيم بن هارون، أورده الذهبي في كالضعفاء والمتروكين، وقال: «كذَّبه الدارقطني»، وقال الحافظ في التقريب: «ضعيف».

ومن الأحاديث الضعيفة:

٤- «إن هاتين صامتا عمَّا أحلَّ الله، وأفطرتا على ما حرَّم الله عز وجل عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس»[٤].

رواه أحمد عن رجل عن عبيد مولى رسول الله ﷺ، وسنده ضعيف بسبب الرجل

---

(١) ابن خزيمة (١٨٨٧)، والمحاملي في أماليه (٢٩٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٠٨)، من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٢) تلخيص الحبير (١٤٣٦).

(٣) الجامع الصغير وزيادته (٧٩٦٧)، والعلل المتناهية لابن الجوزي (٨٨٧). والعلل للدارقطني (١٠/ ٣٨).

(٤) أحمد (٢٣٧٠٣)، والطيالسي (٢١٠٧).

الذي لم يُسم، وقال الحافظ العراقي أنه مجهول. وعند الطيالسي: فيه الربيع بن صبيح: ضعيف، ويزيد الرقاشي: متروك.

٥- حديث: «الصائم في عبادة وإن كان راقداً على فراشه»[١].

فيه محمد بن أحمد بن سهيل، قال الذهبي في الضعفاء: «قال ابن عدي: ممن يضع الحديث».

٦- «رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان»[٢].

رواية الطبراني فيها عبد الله بن كثير، قال عنه الذهبي في الميزان وساق له هذا الحديث: «لا يُدرى من ذا؟ وهذا باطل، والإسناد مظلم»، وأقره الحافظ في اللسان، وضعفه أيضاً الهيثمي، وله طرق أخرى أيضاً لا يصح منها شيء.

٧- حديث: «من أدرك رمضان وعليه من رمضان شيء لم يقضه لم يتقبل منه، ومن صام تطوعاً وعليه من رمضان شيء لم يقضه فإنه لا يتقبل منه حتى يصومه»[٣].

أخرجه أحمد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، وأخرج الشطر الأول منه الطبراني في الأوسط، وقال: «تفرد به ابن لهيعة»، والحديث ضعيف.

٨- حديث «من أفطر يوماً في شهر رمضان في الحضر فليهد بدنه، فإن لم يجد فليطعم ثلاثين صاعاً من تمر للمساكين»[٤].

أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وأقره السيوطي في اللآلئ، قال الذهبي: هذا

---

(١) الفوائد لأبي القاسم الرازي (١١٠٩)، السلسلة الضعيفة (٦٥٣).

(٢) الطبراني في الكبير (١١٤٤).

(٣) أحمد (٨٦٠٦)، والطبراني في الأوسط (٣٢٨٤).

(٤) الدارقطني (٥٤)، الفوائد المجموعة للشوكاني (٢٦)، الجامع الصغير وزيادته (١٢٢٣٩)، من حديث جابر رضي الله عنه.

حديث باطل.اهـ. وفيه مقاتل بن سليمان: كذاب، قال ابن الجوزي والذهبي عنه: غير ثقة. وفيه خالد بن عمرو، قال عنه الذهبي: «تالف، كذبه الفريابي ووهاه ابن عدي». والحارث بن عبيدة: ضعيف.

ومن الأحاديث الضعيفة:

٩- أمر النبي ﷺ بالإثمد المروح عند النوم وقال «ليتقه الصائم»[١].

قال أبو داود: قال لي يحيى بن معين: هو حديث منكر، يعني حديث الكحل. وأخرجه البيهقي ولفظه: «لا تكتحل بالنهار وأنت صائم، اكتحل ليلاً»، وفيه علتان:

الأولى: ضعف عبد الرحمن بن النعمان، وبه أعله المنذري، فقال في مختصر السنن: قال يحيى بن معين: ضعيف، وضعفه الذهبي.

الثانية: جهالة النعمان بن معبد، وأشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة (الصيام)، وقال فيه الذهبي: غير معروف، وقال الحافظ: مجهول.

١٠- «أول شهر رمضان رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار»[٢].

قال العقيلي: «لا أصل له من حديث الزهري»، وقال ابن عدي: «وسلّام هو عندي منكر الحديث، ومسلمة ليس بالمعروف»، وكذا قال الذهبي، ومسلمة بن الصلت: قال فيه أبو حاتم: «متروك الحديث»، كما في ترجمته في الميزان.

١١- حديث: «رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي»[٣].

قال ابن حجر: «رواه أبو بكر النقاش المفسر، وسنده مُرَكَّب، ولا يعرف لعلقمة

---

(١) أبو داود (٢٣٧٧).

(٢) ابن خزيمة (١٨٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٠٨)، من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٣) الفوائد المجموعة للشوكاني (١٠٦)، كشف الخفاء (١٣٥٨).

سماع من أبي سعيد، والكسائي المذكور في السند لا يدرى من هو، والعهدة في هذا الإسناد على النقاش، وأبو بكر النقاش ضعيف متروك الحديث، قاله الذهبي في «الميزان»[1].

١٢ - «إن الله تعالى أوحى إلى الحفظة أن لا يكتبوا على صوَّام عبيدي بعد العصر سيئة»[2].

حكم عليه بالوضع ابن الجوزي ولم يخالف فيه. قال ابن عراق: «رواه الخطيب من حديث أنس ولا يصح، فيه إبراهيم بن عبد الله المخزمي الدقاق، قال الدارقطني: له أحاديث باطلة هذا منها».

١٣ - حديث: «لا تقولوا رمضان، فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى، ولكن قولوا: شهر رمضان»[3].

حكم عليه بالوضع ابن الجوزي، واقتصر البيهقي على تضعيفه، وله أسانيد أخرى لا تصح.

ومن الأحاديث الضعيفة:

١٤ - حديث: «إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام، وإذا سلم رمضان سلمت السنة»[4].

رواه الدارقطني في «الأفراد» من حديث عائشة، وفيه عبد العزيز بن أبان، وهو ضعيف.

---

(١) تبيين العجب (٣٣).

(٢) الخطيب في تاريخه عن أنس مرفوعاً (٨/ ٩٩).

(٣) الموطأ (٣٤٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٦٩٣).

(٤) البيهقي في شعب الإيمان (٣٧٠٨)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٤٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

١٥- حديث: «اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت»[١].

هذا الحديث لا يثبت، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص: «إسناده ضعيف، فيه داود بن الزبرقان وهو متروك»، وقال الهيثمي: «ضعيف جداً».

(١) أبو داود (٢٣٥٨)، والطبراني في الكبير (١٢٧٢٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٩٢٣).

رمضان والدعاء

» «للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة»

الدعاء هو الرغبة إلى الله ﷻ، واستدعاءُ العبدِ ربَّه العنايةَ، واستمدادُه منه المعونةَ.

وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرُّؤ من الحول والقوّة، وهو سمةُ العبودية، واستشعارُ الذلَّة البشريَّة، وفيه معنى الثناء على الله ﷻ، وإضافة الجود والكرم إليه.

وعجيب وجميل أن يذكر الدعاء وسط الكلام عن الصيام وأحكامه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦].

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «هذا التفات عن خطاب المؤمنين كافة بأحكام الصيام إلى خطاب الرسول ﷺ بأن يذكرهم ويعلمهم ما يراعونه في هذه العبادة وغيرها من الطاعة والإخلاص، والتوجُّه إليه وحده بالدعاء الذي يُعدُّهم للهدى والرشاد»[1].

قال أهل العلم: هذه الآية تدل على تعظيم حال الدعاء من وجوه:

الأول: كأنه ﷻ يقول: عبدي أنت إنما تحتاج إلى الواسطة في غير وقت الدعاء، أما في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك.

(١) تفسير المنار (٢/ ١٦٧).

الثاني: أن قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى ﴾ [البقرة:١٨٦] يدل على أن العبد له، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:١٨٦] يدل على أن الربَّ للعبد.

والثالث: لم يقل: فالعبد مني قريب؛ بل قال: أنا منه قريب.

قال رسول الله ﷺ: «إنه من لم يسأل الله يغضب عليه»(١).

الله يغضب إن تركت سؤاله وبُني آدم حين يُسأل يغضب

وقال رسول الله ﷺ: «أفضل العبادة الدعاء»(٢).

وعن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة، قال ربكم: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠]»(٣).

وقال ﷺ: «إن أبخل الناس من بخل بالسلام، وأعجز الناس من عجز عن الدعاء»(٤).

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين»(٥).

---

(١) الترمذي (٣٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤١٨).

(٢) الحاكم في المستدرك عن ابن عباس (١٨٠٥)، وابن عدي عن أبي هريرة (٥/٨٨)، وابن سعد عن النعمان بن بشير، وصححه الحاكم وأقرّه الذهبي. وصححه السيوطي، والألباني في صحيح الجامع (١١٢٢).

(٣) أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وأحمد (١٨٣٧٨)، وصححه الألباني، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٤) أبو يعلى في مسنده (٦٦٤٩)، وابن حبان (٤٤٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥١٩).

(٥) رواه أحمد(٢٣٧٦٥)، وأبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجة (٣٨٦٥)، والحاكم (١٨٣٠) من حديث سلمان، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٥٧).

وقد ضعفه بعض أهل العلم، ورجح وقفه على سلمان رضي الله عنه كما في الأسماء والصفات للبيهقي.

وعن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»[1]، وهو معلول، والجملة الأخيرة جاء في الصحيح أحاديث بمعناها.

وقال النبي ﷺ: «ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها؛ ما لم يدعُ بمأثم، أو قطيعة رحم»[2].

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني»[3].

وآداب الدعاء عشرة:

الأول: أن يتحيَّن الأوقات والأحوال الشريفة، مثل:

١ - وقت التنزل الإلهي:

عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»[4].

---

(١) الترمذي (٢١٣٩) من حديث سلمان رضي الله عنه، والحاكم (١٨١٤) من حديث ثوبان رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٨٧).

(٢) الترمذي (٣٥٧٣) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٣٧).

(٣) مسلم (٢٦٧٥)، والترمذي (٣٦٠٣)، وأحمد (٩٧٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي (٣٥٧٩)، والنسائي (٥٧٢)، والحاكم (١١٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٧٣).

وعن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرًا إلا أعطاه»، وزاد الإمام أحمد: «وهي كل ليلة»[1].

٢- في السجود:

عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن -أي جدير- أن يستجاب لكم»[2].

٣- عند الأذان:

قال النبي ﷺ: «إذا نادى المنادي فُتحت أبوابُ السماء، واستُجيب الدُّعاء»[3].

٤- بين الأذان والإقامة:

قال النبي ﷺ: «الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب فادعوا»[4].

٥- عند لقاء العدو:

عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثنتان لا تُردَّان أو قلَّما تردَّان: الدعاء عند النداء، وعند البأس، حين يلحم بعضهم بعضاً»[5].

٦- عند نزول المطر:

عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال: «ووقت المطر»[6].

---

(١) مسلم (٧٥٧)، وأحمد (١٤٧٨٨).

(٢) مسلم (٤٧٩).

(٣) أحمد (١٤٧٣٠) من حديث جابر، والحاكم (٢٠٠٤) من حديث أبي أمامة، والطيالسي (٢١٠٦) وأبو يعلى (٤٠٧٢) من حديث أنس، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٨).

(٤) رواه أبو يعلى (٣٦٨٠) من حديث أنس، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٥)، والمشكاة (٦٧).

(٥) أبو داود (٢٥٤٠).

(٦) الحاكم (٢٥٣٤)، عن سهل بن سعد ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧٨).

٧- آخر ساعة من نهار الجمعة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يوم الجمعة ثنتا عشرة - يريد ساعة- لا يوجد مسلم يسأل الله عز وجل شيئًا إلا آتاه الله عز وجل، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر»[١].

٩- دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب:

قال رسول الله ﷺ: «دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل»[٢].

١٠- أن يبيت على ذكر فَيتعَارّ من الليل فيدعو:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يبيت على ذكر الله طاهرًا، فَيتعَارّ من الليل فيسأل الله عز وجل خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه»[٣].

١١- دعوة المسافر:

قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم»[٤].

١٢- دعوة الصائم:

قال ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة

---

(١) أبو داود (١٠٤٨) والنسائي (١٣٨٩)، والحاكم (١٠٣٢) عن جابر. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٩٠).

(٢) مسلم (٢٧٣٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد (٢٢١٠١)، وأبو داود (٥٠٤٢) من حديث معاذ رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٥٤).

(٤) أبو داود (١٥٣٦)، والترمذي (١٩٠٥)، وابن ماجة (٣٨٦٢)، وأحمد (٧٥٠١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني.

المسافر»[1].

١٣ - عدم العجلة:

عن أبي هريرة أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي»[2].

الثاني - من آداب الدعاء -: أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه.

الثالث: خفض الصوت بين المخافتة والجهر.

فعن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الإسراء:١١٠] قالت: في الدعاء[3].

وقال ﷺ: «يا أيها الناس! اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنه معكم، إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده»[4].

الرابع: عدم الاعتداء في الدعاء.

قال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف:٥٥]، والاعتداء فيه: كالدعاء بتعجيل العقوبة، أو الدعاء بالممتنع عادة أو عقلاً أو شرعًا، أو الدعاء في أمر قد فرغ منه، أو الدعاء بالإثم وقطيعة الرحم.

الخامس: التضرع والخشوع والرغبة والرهبة.

قال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف:٥٥].

---

(١) البيهقي في شعب الإيمان (٣٥٩٤). وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته (٣٠٣٠).

(٢) البخاري (٥٩٨١)، ومسلم (٢٧٣٥).

(٣) تفسير الطبري (٨/ ١٦٥).

(٤) البخاري (٢٨٣٠) واللفظ له، ومسلم (٢٧٠٤).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

السادس: أن يجزم بالدعاء، ويوقن بالإجابة، ويصدق رجاءه فيه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ»[1].

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»[2].

قال سفيان ابن عيينة: «لا يمنعنَّ أحدَكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله عز وجل أجاب دعاءَ شرِّ الخلق إبليس -لعنه الله-: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ ﴾ [الحجر:٣٦-٣٧]»[3].

السابع: أن يُلحَّ في الدعاء، ويُعظم المسألة، ويكرر الدعاء ثلاثاً.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه «أن النبيَ ﷺ كان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً»[4].

وقال ﷺ: «إذا سأل أحدكم فليكثر؛ فإنما يسأل ربه»[5].

الثامن: أن يفتتح الدعاء بذكر الله وتمجيده والثناء عليه، وأن يختمه بالصلاة على

---

(١) الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥).

(٢) البخاري (٥٩٨٠)، ومسلم (٢٦٧٩)، واللفظ له.

(٣) إحياء علوم الدين (١/ ٣٠٦).

(٤) مسلم (١٧٩٤).

(٥) ابن حبان في صحيحه (٨٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩١).

رسول الله ﷺ؛ لحديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه أنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلًا يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «عجل هذا»، ثم دعاه فقال له أو لغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه ﷻ والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعد بما شاء»، ولفظ الترمذي: «فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه»[1].

التاسع: وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة: التوبة، ورد المظالم، والإقبال على الله ﷻ بكنه الهمة؛ فذلك هو السبب القريب في الإجابة.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «إني لا أحمل همّ الإجابة ولكن همّ الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه».

وعنه رضي الله عنه قال: «بالورع عما حرم الله يقبل الله الدعاء والتسبيح».

وعن عبد الله بن مسعود قال: «إن الله لا يقبل إلا الناخلة من الدعاء، إن الله تعالى لا يقبل من مسمِّع، ولا مراء، ولا لاعب، ولا لاه، إلا من دعا ثبتَ القلب».

وعن أبي الدرداء قال: «ادع الله في يوم سرائك لعله يستجيب لك في يوم ضرائك».

وعن الحسن أن أبا الدرداء كان يقول: «جِدوا بالدعاء، فإنه من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له».

وعن حذيفة قال: «ليأتينَّ على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق».

وينبغي للداعي أن يحذر من بعض الأخطاء في الدعاء، ومن ذلك:

١ - الدعاء على الأهل والمال والنفس، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا

(١) أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧)، وصححه الألباني.

من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»[1].

٢- رفع الصوت بالدعاء؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الإسراء:١١٠]، والمقصود: الدعاء.

٣- تكلّف السجع في الدعاء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت أصحاب رسول الله ﷺ لا يفعلون إلا ذلك». يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب[2].

٤- الاعتداء فيه، كالدعاء بتعجيل العقوبة، أو الدعاء بالممتنع عادة أو عقلاً أو شرعًا، أو الدعاء في أمر قد فرغ منه، أو الدعاء بالإثم وقطيعة الرحم.

٥- الاستثناء فيه، أي تعليق الدعاء بمشيئة الله تعالى، مثل أن يقول: اللهم اغفر لي إن شئت.

---

(١) مسلم (٣٠٠٩).

(٢) البخاري (٥٩٧٨).

شهم الفتوحات

» «إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»

[التوبة:١١١]

رمضان شهر الجهاد:

قال الله تعالى: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة:٤١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة:١١١]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الصف:١٠-١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «حجٌّ مبرورٌ»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين»، قلت: ثمَّ أي؟

(١) البخاري (١٤٤٧)، ومسلم (١٣٥).

قال: «ثمَّ الجهاد في سبيل الله»[1].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيله»[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، فقالوا: يا رسول الله! أفلا نبشر الناس؟ قال «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، أراه فوقه عرش الرحمن»[4].

وهناك عدة نقاط ينبغي أن ينتبه لها عند الحديث عن موضوع الجهاد:

١ - هناك فرق بين الجهاد كحكم شرعي شمولي ثابت بالكتاب والسنة، وبين تنزيل هذا الحكم على الواقع في حال معينة، في صورة فتوى قد تختلف من وقت لآخر أو من زمن إلى زمن، فالحكم الشرعي ثابت، والفتوى تتغير.

٢ - الجهاد له معنيان: عام، وخاص.

فالمعنى العام: هو بذل الجهد في إقامة الدين، ولا يقتصر على جهاد المعترك، ومنه الجهاد بالقرآن قال تعالى: ﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٢].

---

(١) البخاري (٥٠٤)، ومسلم (١٣٩).

(٢) مسلم (١٣٦).

(٣) البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٨٨٠).

(٤) البخاري (٢٦٣٧).

والمعنى الخاص: هو المقصود بقتال الكفار، وهو واجب على البلاد التي احتلها الكفار، ويجب على المسلمين مؤازرتهم ونصرهم مادياً ومعنوياً.

٣- القول بتعين الجهاد البدني (القتال) وإيجابه على كل أفراد الأمة كافة في بلد معين وزمن معين مشكل جداً، ولكن يجاهد أهل كل بلد وليس ثمة مشكلة في العدد.

٤- المتأمل في حال الأمة اليوم يجد:

أ- الدعوة لم تبلغ مداها وتحقق كفايتها منذ قرون و (٨٠٪) من البشرية ما بين نصارى ووثنين ويهود وغيرهم!

ب- لم ينتشر العلم الشرعي بين الناس كما يجب.

ج- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم تقم به الأمة المنصوصة في القرآن.

د- المسلمون يعانون نقصاً حاداً في الكفاءات: اقتصاداً وإعلاماً وطباً وتقنية ونحو ذلك، وهذا وإن كان من فروض الكفايات إلا أنه تحول إلى فروض أعيان؛ بسبب النقص الحادث فيه .

٥- يخطئ البعض عندما يظن أن كل آلام المسلمين ومصائبهم وإخفاقهم ينتهي بمجرد وجود دولة تعلن أنها إسلامية، ولا نشك بأن من أعظم المطالب التي يسعى إليها المسلم هو تطبيق الشرع، وحتى حين توجد دولة إسلامية فهي تحتاج إلى الكوادر والكفاءات.

٦- التراجع الذي تعانيه الأمة لا يصلحه إلا حركة إصلاح عامة تتطلب مشروعاً متكاملاً؛ لبناء دين الأمة ودنياها.

٧- أخفقت مشاريع عديدة؛ لعدم اعتمادها الجوهري على الطرح الإسلامي المتقن المدروس.

٨- النفس تميل أحياناً للجهاد البدني؛ لتحقيق النكاية السريعة، وتعزف عن

الجهاد الذي قد لا ترى ثمرته إلا بعد حين.

٩- لا تعارض بين دراسة الهمّ المستقبلي، وبين الجهود المدروسة لقضايا المسلمين النازفة كفلسطين، والشيشان، والعراق، وغيرها.

١٠- علاج الجرح المفتوح واجب، ولكن من الواجب أن لا ينسينا مستقبل أجيالنا.

١١- لأن ينجح فرد في إعداد مجموعة من شباب الأمة علمياً، وعملياً، وعقلياً، وخلقياً، وجسدياً، ثم يموت شهيداً بإذن الله، أحب وأنفع من أن يذهب شهيداً دون أن يقدم شيئاً؛ فالأمر مصلحة أمة ديناً و دنيا، وليس مصلحة فرد.

١٢- تميز بعض الأفراد والجماعات بالجهاد القتالي قد يجعلهم أولى من غيرهم بتوجيه المعركة في المناطق الساخنة كفلسطين وغيرها، وهم يستحقون الإشادة والدعم؛ لأنهم تعبير عن وجود الأمة وإحيائها، لكن يكون هذا في معزل عن افتعال المعارك في بقية بلاد المسلمين.

أخيراً:

أصحاب الاتجاه الإسلامي بحاجة إلى أن يطمئنوا أنفسهم وغيرهم إلى سلامة منهجهم وإنجازاتهم، وأن لا يستعجلوا خطواتهم ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف:٣٥].

فتوحات رمضان:

في السنة الثانية من الهجرة وفي السابع عشر من رمضان:

كانت غزوة بدر الكبرى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران:١٢٣].

خرج النبي ﷺ في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً يريدون أبا سفيان والغنيمة، فأرادها الله ملحمة، فجمعهم الله بعدوهم على غير ميعاد، وخرجت قريش بقضها وقضيضها تسعمائة وخمسين مقاتلاً، ألف رجل بعدتهم وعتادهم بطراً ورئاء الناس، يقول فاجرهم: لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، واستفتح أبو جهل في ذلك اليوم فقال: اللهم أقطعُنا للرحم وآتانا بما لا نعرفه فأحنِه الغداةَ، اللهم أينا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنفال:١٩].

واستقبل النبي ﷺ القبلة ثمَّ مدَّ يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»[1].

في السنة الخامسة من الهجرة:

استعداد الرسول ﷺ لغزوة الخندق؛ إذ إن هذه الغزوة كانت في سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين، وكان من الاستعداد لها ما أشار به سلمان الفارسي من حفر الخندق حول المدينة، وقد استغرق حفر الخندق كما- يقول ابن القيم- شهراً كاملاً، وقد بلغ طول الخندق حوالي خمسة آلاف ذراع، أما عمق الخندق فلم يكن أقل من سبعة أذرع، والعرض كذلك، فرضي الله عن الصحابة ذاك الجيل القرآني الفريد.

في السنة الثامنة من الهجرة:

في العشرين من رمضان كان الفتح الأعظم، الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين، واستنقذ بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار

---

(١) مسلم (١٧٦٣).

والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً[1].

ودخل فيه رسول الله مكة ومعه عشرة آلاف من كتائب الإسلام وجنود الرحمن، وتهيأت مكة الحبيبة، وكادت جبالها تزحف فرحاً لاستقبال الأمين البار الصابر المحتسب ﷺ؛ ليعيد إلى ربوعها أشعة أنوار دين إبراهيم عليه السلام.

ولا شيء عنده إلا العفو الشامل، صفت نفسه وطهرت، ودخل رسول الله ﷺ مكة وهو يقرأ سورة الفتح وذقنه على راحلته متخشعاً.

دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة صنماً؛ فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:٨١][2].

وعند مسلم: «أتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه، قال: وفي يد رسول الله ﷺ قوس، وهو آخذ بسية القوس، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه ويقول: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:٨١]»[3].

لو قد رأيتِ محمداً وقبيله ... بالفتح يوم تكسّر الأصنامُ

لرأيتِ دين الله أضحى بيّناً ... والشرك يغشى وجهه الإظلامُ

وفي رمضان سنة (٥٣ هـ):

افتتح المسلمون وعليهم جنادة بن أمية جزيرة رودس[4].

---

(١) زاد المعاد (٢/ ١٦٠).

(٢) رواه البخاري (٢٣٤٦).

(٣) رواه مسلم (١٧٨٠).

(٤) البداية والنهاية (٨/ ٦٣).

فتح الأندلس في رمضان سنة (٩١ هـ):

وفي شهر رمضان سنة إحدى وتسعين للهجرة بعث موسى بن نصير رجلاً من البربر يسمى (طريفاً) ويكنى (بأبي زرعة) في مائة فارس وأربعمائة راجل، فجاز في أربعة مراكب حتى نزل ساحل البحر بالأندلس فيما يحاذي طنجة، وهو المعروف اليوم بـ (جزيرة طريف) سميت باسمه لنزوله هناك، فأغار منها على ما يليها إلى جهة الجزيرة الخضراء، وأصاب سبياً ومالاً كثيراً، ورجع سالماً[1].

معركة بلاط الشهداء عام (١١٤هـ):

نشب القتال بين المسلمين والصليبيين في أواخر شعبان سنة (١١٤هـ) واستمر تسعة أيام حتى أوائل شهر رمضان، وكان المسلمون بقيادة عبد الرحمن الغافقي، وكان الصليبيون بقيادة شارل مارتل، وقد أبلى المسلمون فيها بلاءً حسناً، ومات منهم كثيرون، وقد اخترقت صفوفَهم فرقةٌ من فرسان العدو أحدثت خللاً في صفوف المسلمين، وأصيب القائد الغافقي وأدى ذلك إلى موته، فتسبب ذلك في هزيمة المسلمين.

وقد وقعت على مقربة من طريق روماني يصل بين (بواتييه) -والتي تبعد عن باريس (٧٠) كيلو متراً- و (شاتلرو) في مكان يبعد نحو عشرين كيلومتراً من شمالي شرق بواتييه يسمّى بالبلاط، وهي كلمة تعني في الأندلس: القصر أو الحصن الذي حوله حدائق؛ ولذا سميت المعركة في المصادر العربية: (ببلاط الشهداء) لكثرة ما استشهد فيها من المسلمين، وتسمّى في المصادر الأوربية معركة (تور- بواتييه).

فتح عمورية على يد المعتصم في السابع عشر من رمضان من سنة (٢٢٣هـ):

في هذه السنة أوقع الملك توفيل بن ميخائيل بأهل سلطنته من المسلمين وما والاها ملحمة عظيمة، قتل فيها خلقاً كثيراً من المسلمين، وأسر ما لا يحصون كثرة،

(١) قادة فتح المغرب (ص: ٢٤٤-٢٤٥).

وكان من جملة من أسر ألف امرأة من المسلمات، ومثل بمن وقع في أسره من المسلمين، فقطع آذانهم وأنوفهم وسمل أعينهم.

ولما بلغ ذلك المعتصم انزعج لذلك جداً، وصرخ في قصره بالنفير، ثم نهض من فوره وأمر بتعبئة الجيوش، واستدعى القاضي والشهود، فأشهدهم أن ما يملكه من الضياع ثلثه صدقة، وثلثه لولده، وثلثه لمواليه، وخرج بالجيش إعانة للمسلمين، فوجدوا ملك الروم قد فعل ما فعل وشمر راجعاً إلى بلاده، وتفارط ولم يمكن الاستدراك فيه، فقال للأمراء: أي بلاد الروم أفتح؟ فقالوا: عمورية لم يعرض لها أحد منذ كان الإسلام، وهي عندهم أشرف من القسطنطينية، فعزم على فتحها، فأمكنه الله منها.

وقعة (عين جالوت) في يوم الجمعة (٢٥) من رمضان سنة (٦٥٨هـ):

وكانت بين المسلمين والتتار، وتقع عين جالوت بين بيسان ونابلس بفلسطين، وكان المسلمون بقيادة المظفر (سيف الدين قطز) والمغول بقيادة (كيتوبوقا)، وقد كتب الله النصر للمسلمين فحققوا فوزًا عظيماً.

وقد سافر الملك المظفر بالعساكر من الصالحية، ووصل غزة، والقلوب وجلة، ثم رحل الملك المظفر قطز بعساكره من غزة، ونزل الغور بعين جالوت وفيه جموع التتار، في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان، ووقع المصاف بينهم في اليوم المذكور، وتقاتلا قتالاً شديداً لم يُر مثله.

معركة شقحب أو معركة مرج الصُّفَّر في (٢) رمضان سنة (٧٠٢ هـ):

وكانت بين المسلمين والتتار، وهي الوقعة التي أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية الناس فيها بالفطر مدة قتالهم، وأفطر هو أيضاً، وكان يدور على الأجناد والأمراء فيأكل من شيء معه في يده ليعلمهم أن إفطارهم أفضل ليتقووا على القتال؛ فيأكل الناس، وكان يتأول قوله ﷺ: «إنكم قد دنوتم من عدوكم، والفطر أقوى لكم» عام

الفتح، كما في حديث أبي سعيد الخدري عند مسلم[1].

ثم نزل النصر على المسلمين قريب العصر يومئذ، واستظهر المسلمون عليهم ولله الحمد والمنة، فلما جاء الليل لجأ التتر إلى اقتحام التلول والجبال والآكام، فأحاط بهم المسلمون يحرسونهم من الهرب ويرمونهم عن قوس واحدة إلى وقت الفجر، فنصرهم الله ﷻ، وكشف الله بذلك عن المسلمين غمة عظيمة شديدة ولله الحمد والمنة[2].

(١) رواه مسلم (١١٢٠).

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٢٦).

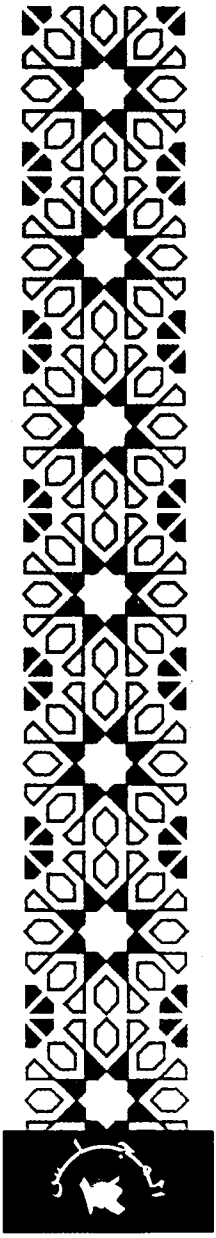

السلف في رمضان

« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن »

قراءة القرآن:

شهر رمضان له خصوصية بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة:١٨٥].

ولهذا حرص السلف رحمهم الله على الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان:

فعن إبراهيم النخعي قال: «كان الأسود بن يزيد يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان ينام بين المغرب والعشاء، وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ست ليالٍ»[(١)].

وعن عبد الملك بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبير «أنّه كان يختم القرآن في كل ليلتين»[(٢)].

وقيل: «كان الوليد بن عبد الملك يختم في كل ثلاثٍ، وختم في رمضان سبع عشرة ختمه»[(٣)].

وعن أبي عوانة قال: «شهدت قتادة يدرس القرآن في رمضان»[(٤)].

وقال سلام بن أبي مطيع: «كان قتادة يختم القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان ختم

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥١).

(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٧٥)، حلية الأولياء (٤/ ٢٧٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧٣).

في كل ثلاثٍ، فإذا جاء العشر ختم كل ليلةٍ»[1].

وقال القاسم بن علي يصف أباه ابن عساكر صاحب (تاريخ دمشق): «وكان مواظباً على صلاة الجماعة وتلاوة القرآن، يختم كل جمعة، ويختم في رمضان كل يوم، ويعتكف في المنارة الشرقية»[2].

وقال الذهبي في ترجمة أبي البركات هبة الله بن محفوظ: «تفقَّه، وقرأ القرآن، وله صدقة وبرٌّ، كان يختم في رمضان ثلاثين ختمة»[3].

قيام الليل:

عن السائب بن يزيد قال: «أمر عمر بن الخطاب ﷺ أُبَيّ بن كعب وتميم الداري ﷺ أن يقوما بالناس في رمضان، فكان القارئ يقرأ بالمئين، حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلاَّ في فروع الفجر»[4].

وعن مالك عن عبد الله بن أبي بكر قال: سمعت أبي يقول: «كنا ننصرف في رمضان من القيام، فيستعجل الخدم بالطعام مخافة الفجر»[5].

وعن داود بن الحصين عن عبد الرحمن بن هُرْمز قال: «سمعته يقول: ما أدركتُ الناسَ إلاَّ وهم يلعنون الكفرة في شهر رمضان، قال: فكان القُرَّاء يقومون بسورة البقرة في ثمان ركعات، فإذا قام بها القراء في اثنتي عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفَّف عنهم»[6].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٦٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٦٦).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٧٧٣٠)، البيهقي في الكبرى (٤٣٩٢).

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٢٥٤).

(٦) أخرجه عبد الرزاق (٧٧٣٤) واللفظ له، والبيهقي في الكبرى (٤٤٠١).

وقال نافع: «كان ابن عمر رضي الله عنهما يقوم في بيته في شهر رمضان، فإذا انصرف الناس من المسجد أخذ إداوةً من ماءٍ ثم يخرج إلى مسجد رسول الله ﷺ، ثم لا يخرج منه حتى يصلي فيه الصبح»[1].

وعن عمران بن حُدير قال: «كان أبو مجلز يقوم بالحي في رمضان يختم في كل سبع»[2].

الجود والكرم إذا أقبل شهر رمضان:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان. إنّ جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ، فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[3].

قال المهلب: «وفيه بركة أعمال الخير، وأن بعضها يفتح بعضاً، ويعين على بعض؛ ألا ترى أن بركة الصيام، ولقاء جبريل، وعرضه القرآن عليه زاد في جود النبي ﷺ وصدقته حتى كان أجود من الريح المرسلة»[4].

وقال الزين بن المنير: «أي فيعم خيره وبره من هو بصفة الفقر والحاجة، ومن هو بصفة الغنى والكفاية أكثر مما يعم الغيث الناشئة عن الريح المرسلة ﷺ»[5].

وقال ابن رجب: «قال الشافعي: أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداءً برسول الله ﷺ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثيرٍ منهم بالصَّوم

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٤٣٨٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧٦٧٧).

(٣) البخاري (١٩٠٢)، ومسلم (٢٣٠٨) واللفظ له.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٢٢-٢٣).

(٥) فتح الباري (٤/ ١٣٩).

والصلاة عن مكاسبهم»[1].

وكان ابن عمر رضي الله عنه يصوم ولا يفطر إلاَّ مع المساكين، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه، أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه السائل، فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفْنَة، فيصبح صائماً ولم يأكل شيئاً[2].

يقول يونس بن يزيد: «كان ابن شهاب إذا دخل رمضان فإنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام»[3].

وكان حماد بن أبي سليمان يُفطِّر في شهر رمضان خمسمائة إنسان، وإنه كان يعطيهم بعد العيد لكل واحد مائة درهم[4].

حفظ اللسان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يَدَع قولَ الزور، والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَه وشرابَه»[5].

قال المهلب: «وفيه دليل أن حُكم الصيام الإمساك عن الرفث وقولِ الزور، كما يمسك عن الطعام والشراب، وإن لم يمسك عن ذلك فقد تنقَّص صيامَه، وتَعرَّض لسخط ربه، وترك قبوله منه»[6].

وفي رواية مسلم: «إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤٌ شاتمه أو قاتله فليقل: إني صائمٌ إني صائمٌ»[7].

---

(١) لطائف المعارف (ص: ٣١٥).

(٢) لطائف المعارف (ص: ٣١٤).

(٣)التمهيد (٦/ ١١١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٣٤).

(٥) أخرجه البخاري (١٩٠٣).

(٦)شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٢٣).

(٧) أخرجه مسلم (١١٥١).

قال المازري في قوله: (إني صائمٌ): «يحتمل أن يكون المراد بذلك أن يخاطب نفسه على جهة الزجر لها عن السِّباب والمشاتمة»[١].

و قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ليس الصيام من الطعام والشراب وحده، ولكنه من الكذب والباطل واللغو والحلف»[٢].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إنّ الصيام ليس من الطعام والشراب، ولكن من الكذب والباطل واللَّغو»[٣].

وعن طلق بن قيس قال: قال أبو ذر رضي الله عنه: «إذا صمت فتحفظ ما استطعت»، وكان طلق إذا كان يوم صومه دخل فلم يخرج إلاّ لصلاة[٤].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «إذا صمت فليصم سمعُك وبصرُك ولسانُك عن الكذب والمآثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء»[٥].

وعن أبي متوكل أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه وأصحابه كانوا إذا صاموا جلسوا في المسجد[٦].

وعن عطاء قال: سمعت أبا هريرة يقول: «إذا كنت صائماً فلا تجهل، ولا تساب، وإن جُهِل عليك فقل: إني صائم»[٧].

---

(١) المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٤١).

(٢)أخرجه ابن أبي شيبة (٨٨٨٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٨٨٨٤).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٨٨٧٨).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٨٨٨٠).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٨٨٨١).

(٧) أخرجه عبد الرزاق (٧٤٥٦).

وعن مجاهد قال: «خصلتان من حفظهما سلم له صومه: الغيبة والكذب»[1].

وعن أبي العالية قال: «الصائم في عبادة ما لم يغتب»[2].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٨٨٨٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٨٨٨٩).

أخطاء بعض الصائمين

« «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»

هذه جملة من الأخطاء التي يقع فيها بعض الصائمين، وهي قد تقع في بعض الدول والمجتمعات دون بعض، نتيجة عادة أو أصل شرعي صرف مقصده، أو نوايا حسنة لإظهار الفرح والسرور بهذا الشهر، أو جهلاً، أو غير ذلك مما حاصله في نهاية الأمر مخالفة الشرع المطهر؛ إذ العبادات مبناها على التوقيف.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[1].

وهذه الأخطاء منها ما هو محرم، ومنها ما هو مكروه، ومنها ما هو بدعة، وقد تكون خاصة بالصوم أو بما تبعه من عادات وغيره.

ومن تلك الأخطاء:

التقصير في صلاة الجماعة:

إن الكثير من الناس يقبلون على العبادة في رمضان وتمتلئ بهم المساجد، ولكن يعرض لبعضهم التقصير وعدم المحافظة على الصلوات، وعدم الانتظام في أدائها؛ إما بترك الصلاة في الجماعة مع المسلمين في المساجد، وفي الحديث: «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له»[2]، وقال علي رضي الله عنه: «لا صلاة لجار مسجد إلا في المسجد»[3].

---

(١) البخاري (٢٥٥٠)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) الترمذي (٢١٧).

(٣) عبد الرزاق في مصنفه (١٩١٥)، وابن أبي شيبة (٣٤٦٩).

وهذا لا شك أمر خطير، وأخطر منه ترك الصلاة بالكلية كلها أو بعضها، فعن بريدة أن رسول الله ﷺ قال: «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»[1]، وقال ﷺ: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»[2]، والأحاديث في الباب كثيرة، نعوذ بالله من سوء المنقلب!

فينبغي للمسلم أن يحافظ على عبادته وصلاته، ويجعل رمضان فرصة للتغيير، والتعود على الخير، والإقبال على الله ﷻ.

عدم التحرز من الغيبة:

الغيبة تضر بالصوم ضرراً عظيماً، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغِيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»[3].

السعي بالنميمة:

والنميمة: هي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد، وقيل: إفشاء السر، وهتك الستر عما يُكره كشفه[4].

قال الإمام الغزالي رحمه الله: كل من حُملت إليه نميمة وقيل له: إن فلاناً قال فيك كذا وكذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في ممالاة عدوك أو تقبيح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور:

---

(١) الترمذي (٢٦٢١).

(٢) البخاري (٥٢٨).

(٣) مسلم (٢٥٨٩).

(٤) الأذكار للنووي ص: ٢٩٩-٣٠٩، النهاية في غريب الجديث (٥/ ١٢٠).

الأول: أن لا يصدقه؛ لأنه نمام فاسق، وهو مردود الشهادة، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ﴾ [الحجرات:٦].

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصحه، ويقبح عليه فعله، قال الله تعالى: ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [لقمان:١٧].

الثالث: أن يبغضه في الله ﷻ، فإنه بغيض عند الله، ويجب بغض من يبغضه الله تعالى.

الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴾ [الحجرات:١٢].

الخامس: أن لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث عن تحقيق ذلك؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [الحجرات:١٢].

السادس: أن لا يقع فيما نهى النمام عنه، فلا يحكي، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال إن محمدًا ﷺ قَالَ: «ألا أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة، القالة بين الناس»، وإنَّ محمدًا ﷺ قال: «إنَّ الرجل يصدق حتى يكتب صديقًا، ويكذب حتى يكتب كذابًا»[1].

وعن حذيفة ﷺ أنه بلغه أن رجلاً ينم الحديث، فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة نمَّام»[2].

وروي عن عمر بن عبد العزيز ﷺ: أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً، فقال له عمر: «إن شئت نظرنا في أمرك: فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿ إن

---

(١) مسلم (٢٦٠٦).

(٢) البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) واللفظ له.

جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات:٦]، وإن شئت عفوت عنك؟ فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبداً.

وقال الحسن البصري رحمه الله: «من نمَّ إليك نمَّ عليك»[١].

قال الشاعر:

لا تقبلنَّ نميمةً بُلِّغتَها ... وتحفظنَّ من الذي أَنبأْكَها

إن الذي أَهدَى إليك نميمةً ... سينمُّ عنك بمثلها قد حَاكَها

إطلاق البصر في المحرمات:

قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ ﴾ [النور:٣٠-٣١]

وهذا أمر لعباده المؤمنين بأن يغضوا من أبصارهم عما حرّم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح الله لهم النظر إليه، وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم.

وقال ﷺ: «لكل ابن آدم حظ من الزنا، فالعينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما البطش، والرجلان تزنيان وزناهما المشي، والفم يزني وزناه القبلة، والقلب يهم أو يتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»[٢].

الشتم والسب والبذاءة وسوء الخلق:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[٣].

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ١٥٦) بتصرف.

(٢) مسلم (٢٦٥٧). والبيهقي (١٣٢٨٩)، واللفظ له.

(٣) البخاري (١٨٠٤)

أو شاتمه فليقل: إني صائم، مرتين...»[1].

قال ابن حجر: «المراد من الحديث أن لا يعامله بمثل عمله؛ بل يقتصر على قوله: إني صائم»[2].

الكسل والخمول:

بعض الصائمين يتخذ من رمضان فرصة للكسل والخمول، في حين أن سلفنا الأوائل كان رمضان فرصتهم للفتوح والجهاد، فضلاً عن عبادة المسلم اليومية التي يضربون فيها أروع المثل ظاهراً وباطناً.

وبعض الكسالى يحتجون بحديث ضعيف وهو: «نوم الصائم عبادة»، وعلى فرض صحته فإنه لا يدل على مراد هؤلاء الكسالى، الذين يقضون نهارهم نوماً وليلهم سهراً ولهواً، وإنما المراد منه: نومه الطبيعي الذي يتخلل يومه من قيلولة وغيرها مما يستعان به على العبادة.

والواجب على الصائم أن يستغلَّ موسمَ رمضان، ويجتهد فيه؛ فلعله لا يدرك رمضان آخر.

التوسع في المآكل والمشارب:

فبعض الصائمين يملئون بيوتهم بأصناف المطعومات والمشروبات، مما قد لا يؤكل في غير رمضان، وبلا ريب هذا ينافي حكمة الصوم ومشروعيته.

عن أبي كريمة المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمي وعاء شرّاً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا

---

(١) البخاري (١٧٩٥).

(٢) فتح الباري (٤/ ١٠٥).

محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[1].

وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره، وربما يزيد عليه في ألوان الطعام، حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان، فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر.

ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء، وكسر الهوى؛ لتقوى النفس على التقوى، وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها، ثم أطعمت من اللذات وأشبعت، زادت لذتها وتضاعفت قوتها، وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها[2].

سرعة الغضب:

يظن البعض أنه معذور لصومه في سرعة الغضب، هذا وقد يخرجه غضبه إلى الكلام بعظائم الأمور والأفعال الغريبة بحجة أنه صائم.

والذي ينبغي للصائم هو أن يتحلَّى بسعة الصدر ورحابته، وأن يتذكر قول الرسول ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرعَة، إنَّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[3]، وأن يمتثل قوله: «إني صائم».

ومن الأخطاء:

ترك الصوم من غير عذر:

وهذه معصية كبيرة وجرم عظيم، يجب على فاعلها التوبة والإنابة إلى ربه، وأن يستغفره لذلك، ويقضي ما أفطره، مع إطعام مسكين عن كل يوم إن كان قادراً،

---

(١) الترمذي (٢٣٨٠).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٣٥).

(٣) البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢٦٠٩).

فالصوم من أركان الإسلام الخمسة التي أخبر بها النبي ﷺ.

والواجب تعزير من أفطر في رمضان بغير عذر وتأديبه؛ ليرتدع هو وأمثاله.

خروج النساء إلى المساجد متطيبات:

ومن ذلك: تعطر النساء؛ وتطيبهن عند الخروج للمسجد أو غيره.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة أصابت بخورًا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة»[1].

وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة استعطرت فمرت بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية»[2].

ومن ذلك السهر:

والذي يفضي بصاحبه إلى أمور منها:

- ترك صلاة الفجر.
- التكاسل عن أمانة العمل إن كان موظفاً.
- ترك صلاة الظهر وربما العصر.
- الإرهاق الشديد طول يومه إن تحامل على نفسه واستيقظ.

والواجب على هؤلاء أن ينتبهوا لفضيلة الشهر، واغتنام الآجر فيه، فهو فرصة ربما لا يدركها بعد ذلك.

وأما أهل الطاعة والهمة فيفرحون برمضان، ويتشوفون إليه قبل حلوله.

قال معلى بن الفضل: «كانوا يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم

---

(١) مسلم (٤٤٤).

(٢) الترمذي (٢٧٨٦)، والنسائي (٥١٢٦) واللفظ له.

يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم»[1].

وقال يحي بن أبي كثير: «كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان، وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلاً»[2].

فهم يفرحون بما في رمضان من الخير والطاعة والقرب من ربهم.

يفرحون بقوله ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»[3]، ويستبشرون بقوله: «من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً...»[4]، وبقوله ﷺ: «فإنَّ عمرة في رمضان تقضي حجة معِي»[5].

وفي رواية لمسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ:«فإذا جاء رمضان فاعتمري فإنَّ عمرة فيه تعدل حجّة»[6].

ويفرحون بتلاوة القرآن، والصدقة، وخصال الخير، مما ينشط له المسلم في رمضان على عكس غيره.

---

(١) لطائف المعارف (ص: ٢٨٠).

(٢) لطائف المعارف (ص: ٢٨٠).

(٣) البخاري (١٨٠٢)، ومسلم (٧٥٩).

(٤) البخاري (٣٥)، ومسلم (٧٦٠).

(٥) البخاري (١٧٦٤).

(٦) مسلم (١٢٥٦).

السواك في رمضان

« عن عامر بن ربيعة قال: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يستاك وهو صائم» رواه البخاري

يتجنب بعض الناس السواك في نهار رمضان، وهذا خطأ؛ لأنه لا تعارض بين السواك والصيام، والنبيُّ ﷺ يقول: «لولا أن أشقَّ على المؤمنين وفي حديث زهير: على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[1]، وفي رواية أخرى: «عند كل وضوء»[2].

فالصواب أنه يشرع للصائم أن يستاك في كل وقت شُرع فيه السواك كما يشرع لغيره.

أما حديث علي ﷺ قال: «إذا صمتم فاستاكوا بالغداة ولا تستاكوا بالعشي، فإنه ليس من صائم تيبس شفتاه بالعشي إلا كانت نورًا بين عينيه يوم القيامة»[3]، فهو ضعيف جدًّا، فقد رواه البيهقي والدارقطني وغيرهما، وسنده في غاية الضعف، فلا يحتج به، وقد عارضه حديث: «رأيت رسول الله ﷺ يستاك وهو صائِمٌ»[4]. وإن كان ضعيفًا أيضًا إلا أنه خير من حديث: «إذا صمتم فاستاكوا بالغداة ولا تستاكوا بالعشي».

ويغني عن هذين الحديثين قوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بِالسِواكِ

(١) البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢) واللفظ له.

(٢) البخاري (٧٢٤٠)، ومسلم (٢٥٢).

(٣) البيهقي (٨١٢٠)، والدارقطني (٧).

(٤) الترمذي (٧٢٥)، وأبو داود (٢٣٦٤).

عِند كل صلاةٍ»[1]، وقوله: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بِالسِواكِ عِند كل وضوءٍ»، فيدخل في ذلك الصلاة والوضوء للصائم وغير الصائم؛ قبل الزوال وبعد الزوال.

فيدخل في هذا الحديث السواك لصلاة الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء والوضوء لهذه الصلوات كلها، وكذلك يستحب للإنسان أن يستاك في مواضع أخرى، والمواضع التي يشرع للصائم وللإنسان أن يستاك فيها ستة مواضع:

الأول: عند الصلاة؛ لقوله ﷺ: «عِند كل صلاةٍ».

الثاني: عند الوضوء؛ لقوله عليه السلام: «عِند كل وضوء».

الثالث: عند قراءة القرآن، وقد جاء في هذا أحاديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره قال: «إنَّ أفواهكم طرق لِلقرآنِ فطيبوها بِالسواكِ»[2]، وإسناده ضعيف، ولا يصح في الباب شيء.

الرابع: عند دخول المنزل؛ لما في صحيح مسلم عن المقدام بن شريح عن أبيه قال: «سألت عائشة قلت: بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك»[3].

الخامس: عند تغير رائحة الفم؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»[4].

فقوله: «السواك مطْهرة للفم» دليل على أن السواك يشرع لتطهير الفم وتنظيفه.

---

(١) البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).

(٢) ابن ماجة (٢٩١).

(٣) مسلم (٢٥٣).

(٤) النسائي (٥)، والدارمي (٦٨٤).

السادس: عند الاستيقاظ من النوم؛ لحديث حذيفة: «أن النبِي ﷺ كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك»[1].

فتبين من هذا أنه يشرع للإنسان أن يتسوك في هذه المواضع الستة، سواء كان صائماً أو غير صائم.

أما ما يظنُّه البعضُ من قول النبي ﷺ: «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[2]، وأنه يعارض ذلك أن يستاك الإنسان، فهذا ليس بصحيح:

أولاً: لأن الخلوف رائحة تنبعث من المعدة بسبب خلوها من الطعام، وليس من الفم، إذن فالسواك لا يزيل الخلوف ولا مدخل له فيه.

الثاني: أن كثيراً من العلماء قالوا: إن هذه الرائحة هي عند الله تعالى: «لخلوف فم الصائم عند الله تعالى»؛ بل جاء في بعض الأحاديث أن هذا يوم القيامة، ومن هنا فلا تعلق لذلك بأمور الحياة الدنيا، والسواك لا يضر ذلك؛ بل هو يزيد رائحة الفم عند الله تعالى طيباً إلى طيب، فإن السواك أيضاً هو مما يرضي الله ﷻ، وهو مما أمر الله تعالى به على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام.

وأما إذا بقي في فم الإنسان شيء من أثر السواك، فعليه حينئذ أن يزيله دون أن يفضي به ذلك إلى وسوسة؛ فإن كثيرًا من الناس يشقُّون على أنفسهم، ويبالغون ويشددون؛ فيشدد الله تعالى عليهم، وربما يبتلون بألوان من البلايا والمصائب بسبب مبالغتهم في ذلك، فيبالغ الواحد منهم -مثلاً- في إخراج بقايا السواك من فمه، أو يبالغ في إخراج بقايا الطعام بعد السحور من فمه، أو يبالغ في إخراج حتى الريق من فمه، فإذا تعقد ريقه حاول إخراجه، وشقَّ على نفسه، وبعضهم يجد مشقة عظيمة في المضمضة وفي الاستنشاق، وكل ذلك من الآصار والأغلال التي وضعها الله تعالى عن

(١) البخاري (٢٤٢)، ومسلم (٢٥٥).

(٢) البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

هذه الأمة، قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]، قال الله تعالى: «قد فعلت»[1] فكل الآصار والأغلال التي كانت على الأمم السابقة قد وضعها الله تعالى عن هذه الأمة، فينبغي علينا أن نيسر على أنفسنا وعلى غيرنا في هذه الأمور.

من فوائد السواك:

قال ابن القيم رحمه الله:

«وفي السواك عدة منافع: يطيب الفم، ويشد اللثة، ويقطع البلغم، ويجلو البصر، ويذهب بالحفر، ويصح المعدة، ويصفي الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويسهل مجاري الكلام، وينشط للقراءة والذكر والصلاة، ويطرد النوم، ويرضي الرب، ويعجب الملائكة، ويكثر الحسنات»[2].

---

(١) صحيح مسلم (١٢٦).

(٢) زاد المعاد (٤/ ٢٩٣).

شهر التوبة

» «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»

في رمضان يعود العباد إلى ربهم، ويسلمون وجوههم له، ويقلعون عن الآثام، وذلك لجود الله تعالى على عباده، وصفحه وعفوه عنهم في هذا الشهر الكريم؛ فرمضان فرصة ثمينة يتوب العبد فيها، وليت شعري إن لم يتب فيه فمتى يتوب؟!

والله ﷻ يحب طاعة عباده كلهم، ويحب التوبة من كل عاص[1].

وليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها، فإذا عوفي من الذنوب عوفي من موجباتها، فليس للعبد إذا بُغي عليه وأُوذي وتَسلط عليه خصومُه شيءٌ أنفع له من التوبة النصوح[2].

والله ﷻ إذا أراد بعبده خيراً فتح له من أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به وصدق اللجا إليه ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة رحمة به، حتى يقول عدو الله إبليس: يا ليتني تركته ولم أوقعه[3].

والتوبة: هي الرجوع إلى الله، وترك الذنب، والندم على ما فرط، والعزم على ترك المعاودة، والقيام بحقوق الشرع، وتدارك ما أمكن.

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٤٤).

(٢) بدائع الفوائد (٢ / ٤٦٧).

(٣) الوابل الصيب (١ / ١٣).

وقد حث الله تعالى في كتابه الكريم على التوبة في مواضع كثيرة، يقول الله ﷻ: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [هود:٣].

ويقول الله ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزمر:٥٣-٥٥].

ويقول ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ ﴾ [التحريم:٨].

ويقول ﷻ: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور:٣١].

ويقول سبحانه عن نبيه آدم عليه السلام: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [طه:١٢١-١٢٢] إلى غير ذلك من الآيات.

وقد ورد عن النبي ﷺ في ذلك أحاديث كثيرة؛ فمن ذلك ما في صحيح مسلم عن الأغر المزني أن النبي ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[1]، وعن ابن عمر رضي الله عنه نحوه.

وفي صحيح مسلم أيضاً أن النبي ﷺ قال: «إن الله ليبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من

(١) مسلم (٢٧٠٢).

مغربها»[1].

وفي صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[2]. إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في فضل التوبة.

أنواع التوبة:

التوبة نوعان: واجبة، ومستحبة:

فأما التوبة الواجبة: فهي التوبة من فعل المحرمات وترك الواجبات، وأعظم المحرمات الوقوع في الكفر والشرك والنفاق، وكذلك التوبة من سائر المعاصي: كأكل الربا، وأكل الحرام، وسماع الغناء، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والغيبة والنميمة، وقول الزور.. وغير ذلك من المعاصي.

وكذلك التوبة من ترك الواجبات: كترك الصلاة، أو ترك صلاة الجماعة، أو ترك الصيام، أو الحج، أو الزكاة.. إلى غير ذلك من الواجبات.

أما التوبة المستحبة: فهي التوبة من فعل المكروه أو ترك المستحب، فالإنسان يتوب من ترك الوتر مثلاً، أو ترك السنن الرواتب، أو ترك الإكثار من قراءة القرآن، أو ترك قيام الليل، أو غير ذلك من الأعمال والطاعات والصالحات، كما يتوب من فعل الأمور المكروهة التي لا يحبها الله ولا رسوله؛ ولكن ليست محرمة.

---

(١) مسلم (٢٧٥٩).

(٢) مسلم (٢٧٤٧).

ولا غنى للإنسان عن التوبة ، وأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام كانوا على رأس التائبين، وكم منهم من كان يقول: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣]، وكم منهم من كان يقول: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى ﴾ [القصص:١٦].

بل أمر الله نبيه ومصطفاه أن يستغفر فقال: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد:١٩]، وكان من شأنه عليه الصلاة والسلام في كثرة الاستغفار أنه كان يحسب له في المجلس الواحد نحو مائة مرة «أستغفر الله وأتوب إليه»[1]، وفي لفظ: «أكثر من سبعين مرة»[2]، فإذا كان هذا شأن الرسل والأنبياء فما بالك بنا ونحن في أوزارنا، وتقصيرنا، وغفلتنا، وقلوبنا قد أصابها وغطى عليها من الران ما لا يدفعه إلا الله عز وجل؟!

وهكذا فنحن أحوج وأحوج إلى أن نتوب إلى الله ﷻ ونستغفره.

نماذج من قصص التائبين:

وموكب التائبين قديم، يبدأ بآدم عليه الصلاة والسلام أبينا الذي زيَّن له إبليس المعصية، وأقسم له إنه لهما لمن الناصحين، فوقعا في المعصية، ثم تاب الله تعالى عليهما.

ومن أشهر قصص التوبة وأعجبها توبة أبي خيثمة، وأبي لبابة، وكعب بن مالك رضي الله عنهم وأرضاهم، وتوبة ماعز الذي جاء -كما في الصحيحين- إلى النبي ﷺ يقول: يا رسول الله! زنيت فطهرني. فيقول الرسول ﷺ: «لعلَّك غمزت، لعلَّك قبَّلت، لعلَّك كذا، لعلَّك كذا» -يفتح له أبواب العذر- قال: لا يا رسول الله. قال: «أبك جنون؟» قال: لا، وسأل عنه فوجده رجلاً عاقلاً، ولم توجد فيه رائحة الخمر،

---

(١) مسلم (٢٧٠٢)..

(٢) البخاري (٥٩٤٨).

فأمر به النبي ﷺ فرجم، وأخبر بصدق توبته عليه الصلاة والسلام[1].

وأعجب منه توبة الغامدية الجهنية التي جاءت إلى النبي عليه الصلاة والسلام تذكر ذنبها.. فعن عمران بن حصين أن امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ وهي حبلى من الزنا فقالت: يا نبي الله! أصبت حداً فأقمه علي، فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال: «أحسن إليها، فإذا وضعت فائتني بها». ففعل، فأمر بها نبي الله ﷺ فشكت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟ فقال: «لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى»[2].

وقصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاه ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة». قال قتادة: «فقال الحسن: ذكر لنا أنه لما

(١) البخاري (٦٤٣٠). ومسلم (١٦٩١).

(٢) مسلم (١٦٩٦).

أتاه الموت نأى بصدره»[1].

ومن عجيب قصص التائبين من بني إسرائيل: ما ذكره النبي ﷺ فيما رواه الترمذي والحاكم وغيرهم في قصة الكِفْل: أنَّ الكِفْل كان رجلاً من بني إسرائيل، لا يتورع عن معصية، لا تبين له معصية إلا فعلها، كان رجلًا والغًا في الفجور والرذيلة والزنا، وشرب الخمور، وغير ذلك من الفواحش والموبقات، مقيمًا عليها، فأعطى امرأة ستين دينارًا على أن تخلي بينه وبين نفسها، فلما قعد منها مقعد الرجل من زوجته انتفضت وبكت، فقال لها: ما يبكيك؟ هل أكرهتك؟ قالت: لا، ولكن هذا أمر لم أفعله. قال: فما حملك على ذلك؟ ما حملك على أن ترضي مني بهذا؟ قالت: الحاجة. فقام منها وتركها، وقال: الستون دينارًا لك، وقال: والله لا عصيت الله تعالى أبداً. فأصبح ميتاً، وغفر الله تبارك وتعالى له[2].

شروط التوبة:

إن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

الثاني: أن يندم على فعلها.

الثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً.

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رَدَّه إليه، وإن كان حد قذف ونحوه مكَّنه منه، أو طلب عفوه.

---

(١) البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

(٢) الترمذي (٢٤٩٦)، والحاكم في المستدرك (٧٦٥١).

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحَّت توبته من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي[1].

بعض العوامل التي تساعد على التوبة

أولاً: قوة العزيمة، فإن خور العزيمة وضعفها من أسباب الوقوع في المعاصي والآثام، ومن أسباب كون الإنسان يتردد، فيتوب اليوم ويعصي غداً، ويتوب غداً ويعصي بعد غد.

ثانياً: الدعاء، وسؤال الله التوبة النصوح، وقد كان من دعاء نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة:١٢٨]، وكان النبي ﷺ يقول: «رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور»[2].

ثالثاً: تغيير البيئة التي تدعوه للمعصية؛ فالمعصية لها أسباب، والطاعة لها أسباب، ومن جالس المصلين صلَّى، ومن جالس المولين ولَّى، ومن جالس قوماً كان منهم وحشر معهم؛ ولذلك قال ذلك العالم الإسرائيلي للرجل الذي تاب: «لا تعد إلى أرضك فإنها أرض سوء».

رابعاً: عدم القنوط واليأس؛ فإن هذا من أعظم مداخل الشيطان على الإنسان، والواقع في المعصية غالباً يداخله شيء من اليأس، واليأس لا يجوز، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف:٨٧].

---

(١) رياض الصالحين (١ / ١٧).

(٢) الترمذي (٣٤٣٤)، وأحمد (٤٧٢٦).

ويحسن أن يُذكَّر من تسرب القنوط إلى نفسه بقول الرسول ﷺ في حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»(١)، وحديث: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»(٢).

خامساً: أن ينمي الإنسان منابع الخير في نفسه، فكل إنسان فيه قابلية للخير فليكثر من الصلاة، وقراءة القرآن، والاستغفار، والصيام، والذكر، والصلاة على النبي ﷺ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، والإحسان إلى الناس، وعدم ظلم الآخرين، وغير ذلك من الأمور التي يستطيعها الإنسان، والله ﷻ يقول: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [هود:١١٤-١١٥].

سادساً: الإخلاص لله، فإذا أخلص الإنسان لربه، وصدق في طلب التوبة أعانه الله عليها، قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ [النساء:١٤٦].

سابعاً: المجاهدة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

قال ابن المبارك رحمه الله:

ومن البلايا للبَلاء علامةٌ ... ألَّا يُرى لك من هواك نُزُوعُ

العبدُ عبدُ النَّفس في شَهَواتها ... والحرُّ يشبَع تارةً ويجُوعُ

---

(١) مسلم (٢٧٤٩).

(٢) الترمذي (٢٤٩٩)، وأحمد (٣/ ١٩٨).

ثامناً: قصر الأمل، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[1].

قال ابن عقيل رحمه الله: «ما تصفو الأعمال والأحوال إلا بتقصير الآمال، فإن كل من عدَّ ساعته التي هو فيها كمرض الموت حسنت أعماله، فصار عمره كلّه صافيًا».

تاسعاً: التفكر في أضرار الذنوب والمعاصي، ومنها:

١- حرمان العلم الشرعي:

وهو الطريق إلى الجنة، فإن العلم نور يقذفه الله عز وجل في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور، ولما جلس الشافعي بين يدي الإمام مالك وقرأ عليه، أعجبه ما رأى من نور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: «إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تطفئه بظلمة المعصية».

٢- حرمان الرزق:

فكما أن التقوى مجلبة للرزق، فإن ترك التقوى مجلبة للفقر. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق:٢-٣].

٣- تعسير أموره عليه:

فإن الله ييسر أمور عباده الصالحين: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝ ﴾ [الطلاق:٤]، وعلى العكس من ذلك، نجد آثار الذنوب تعم حتى الدابة والخادم؛ فتتعسر أمورهما على صاحبهما، ويكونان نكداً وقلقاً على مالكهما.

---

(١) البخاري (٦٠٥٣).

٤- أن المعصية تورث الذل:

فصاحب المعصية ذليل حقير، فتجد الراشي والمرتشي ذليل في عمله حتى وإن ملك الملايين، وتجد اللوطي والزاني ذليل في نفسه، وعلى ضد ذلك كله قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر:١٠].

٥- أنها تزيل النعم الحاضرة.

لأن المعصية جحود وكفران للنعمة، ومن شكر النعمة: القيام بحق الله ﷻ، وعدم التعدي على محارمه، وكم من امرأة تعيش سعيدة في بيت هانئ، ولما تطاولت إلى الحرام أصابها الغمّ، وكم من شاب وقع في الحرام فتفرق شملُه وضاقت به الدنيا.

٦- المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ والعذاب في الآخرة:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه:١٢٤].

حسن الخلق

» (وإنك لعلى خلق عظيم).. (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا)

إن هدف الرسالات السماوية هو التزكية، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام حين يدعو الله ﷻ يدعوه أن يبعث في ذريته رسولاً منهم يتلو عليهم آياته، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم وقد أجاب الله دعوته عليه الصلاة والسلام، فبعث في الأميين هذا الرسول المصطفى ﷺ والذي قال الله ﷻ في حقه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة:٢]، وامتنَّ سبحانه علينا جميعا ببعثة النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [البقرة:١٥١].

وقد صرح الرسول ﷺ بالهدف من بعثته بقوله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[1]، والمقصود بالأخلاق معنى أشمل مما هو متعارف عليه بين الناس، فالأخلاق: معاملة العبد مع ربِّه، ثم معاملته مع نفسه، ثم معاملته مع الخلق، وهذا معنى صحيح.

وذِكْرُ هديه ﷺ في هذا الأمر يطول، وهذه بعض الأحاديث القولية للنبي ﷺ في الحثِّ على الخلق.

---

(١) أحمد (٨٩٣٩)، قال ابن عبد البر: «وهذا الحديث يتصل من طرق صحاح عن أبي هريرة وغيره عن النبي ﷺ» التمهيد (٢٤/ ٣٣٣).

فعن أبي الدرداء ﷺ أنَّه ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد من خلق حسن، وإن الله يبغض الفاحش البذيء»[1]، ون أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»[2]، وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: «الفم والفرج»[3].

وعن أنس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً»[4]. متفق عليه، وعنه ﷺ قال: «ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحةً قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟»[5].

وعن الصعب بن جثامة ﷺ قال: أهديت إلى رسول الله ﷺ حماراً وحشياً فردَّه عليَّ، فلما رأى ما في وجهي قال: «إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم»[6].

وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم، فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطَّلع عليه الناس»[7].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً» وكان يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»[8].

---

(١) الترمذي (٢٠٠٢) وقال حديث حسن صحيح، وأبو داود (٤٧٩٩).

(٢) الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجة (٤٢٤٦).

(٣) الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجة (٤٢٤٦).

(٤) البخاري (٥٨٥٠).

(٥) البخاري (٣٣٦٨)، ومسلم (٢٣٣٠).

(٦) البخاري(١٧٢٩)، ومسلم (١١٩٣).

(٧) مسلم (٢٥٥٣).

(٨) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٢٣٢١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»[1].

وعن عائشة ﷺ قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[2].

وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإنَّ أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون»، فقالوا: يا رسول الله! قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»[3].

ويكفي أن تُراجع سيرتُه، ويُنظر كيف كان ﷺ يعامل الناس كلَّهم.. كيف كان يعامل أزواجَه؟ كيف كان يعامل أقاربَه؟ كيف كان يعامل أصحابَه؟ كيف كان يعامل أعداءه أيضاً؟

ولنقف قليلاً عند بعض المواقف التي لا تمثل إلا شيئاً يسيراً من هذا..

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ﷺ: «أن الرسول ﷺ استدان من رجل مالاً، فجاء الرجل يتقاضى من النبي ﷺ، فأغلظ له القولَ - أغلظ الرجل للرسول ﷺ القول-، فَهَمَّ به أصحابُه، فقال عليه الصلاة والسلام: دعوه؛ فإن لصاحب الحقِّ مقالاً»[4].

وكان إذا استسلف من أحد شيئاً أضعف له في الوفاء ودعا له، وقال: «إنما جزاء

---

(١) الترمذي (١١٦٢).

(٢) أبو داود (٤٧٩٨).

(٣) الترمذي (٢٠١٨).

(٤) البخاري (٢٤٠١)، ومسلم (١٦٠١).

السلف الوفاء والحمد»[1]، وفي الحديث: أن زيد بن سعنة كان من أحبار اليهود أتى النبي ﷺ يتقاضاه، فجبذ ثوبه عن منكبه الأيمن ثم قال: «إنكم يا بني عبد المطلب أصحاب مطل، و إني بكم لعارف، قال: فانتهزه عمر، فقال له رسول الله ﷺ: يا عمر! أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج، أن تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي، انطلق يا عمر أوفه حقه، أما إنه قد بقي من أجله ثلاث فزده ثلاثين صاعاً لتزويرك عليه»[2].

وهذه قصة عبد الله بن سلام ﷺ، وهو أحد كبار علماء اليهود في المدينة، وكان رجلاً منصفاً باحثاً عن الحق، فلما سمع بمقدم النبي ﷺ المدينة قال: ذهبت إليه، فلما رأيته -يعني قبل أن يتكلم ﷺ- قال: فلما رأيته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب[3] فقد قرأ على محيا رسول الله ﷺ آيات الصدق، والبر والوفاء، قال: فسمعته يقول: «أيها الناس! أطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وأفشوا السلام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام»[4]، والشاهد قوله: «عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب»[5].

أصول الأخلاق:

الأخلاق كثيرة، وأصولها في أربعة أخلاق:

الأصل الأول: خلق الصبر، الذي يحمل الإنسان على التحلِّي بالحِلْم، والأناة، وكظم الغيظ، وكف الأذى، وما أشبه ذلك.

---

(١) ابن ماجة (٢٤٢٤)، وأحمد (١٦٤٥٧).

(٢) الحاكم (٢٢٣٧). وقال صحيح الإسناد.

(٣) الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجة (١٣٣٤).

(٤) الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجة (٣٢٥١).

(٥) الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجة (١٣٣٤).

الأصل الثاني: خلق العفة، وهي التي تحمل الإنسان على الانكفاف عن الرذائل، والتعلق بالمعالي والأمور الكبار.

الأصل الثالث: خلق الشجاعة، وهي التي تحمل الإنسان على العزة والكرم، والجود والبذل، وتنهاه عن التهوُّر، أو الغضب.

الأصل الرابع: خلق العدل مع النفس، ومع الناس، ومن العدل أن يكون الإنسان معتدلاً في أخلاقه، فإن كل خلق حسن فهو مكتنف بخلقين ذميمين، فالإنسان إذا أفرط انتقل إلى خلق ذميم، وإذا فرَّط انتقل أيضاً إلى خلق ذميم، فالحلم خلق حسن فاضل، فإذا زاد وتعدى تحول إلى نوع من الذلة والمهانة، وإذا نقص تحول إلى نوع من الغضب وشدة الانفعال.

والكرم خلق حسن فاضل مطلوب؛ لكن إذا زاد الكرم وتعدى تحول إلى إسراف وتبذير، وإذا نقص تحول إلى بخل وحرص وشح.

والإنسان مجبول على كثير من الخصال والأخلاق، سواء ورثها عن آبائه، أو تلقاها بحكم البيئة التي عاش فيها، وانطبعت في نفسه فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة وفد عبد القيس: أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»[1]، وفي رواية أنَّه ﷺ ذكر له: «أن الله جبله على هذين الخُلقين، فقال الرجل: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب»[2].

وسائل مفيدة في إصلاح أخلاق الإنسان:

الوسيلة الأولى: المجاهدة، فيجاهد الإنسان نفسه على حملها على الخلق الحسن، وكفها عن الخلق الذميم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت:٦٩]، والحصول على الخلق الفاضل من الهداية.

---

(١) مسلم (١٧).

(٢) أبو داود (٥٢٢٥).

الوسيلة الثانية: المحاسبة تكون بعد الفعل، ومن يحاسب نفسه يصل إلى خير كثير في سائر أموره؛ ولذلك أقسم الله ﷻ بالنفس اللوَّامة، وورد عن الحسن البصري وغيره أنهم قالوا: إنها نفس المؤمن.

الوسيلة الثالثة: التعلية، تعلية الإنسان أخلاقه الفاضلة، وإيجاد مصارف مناسبة مشروعة لها.

الوسيلة الرابعة: الإبدال، وهي أن يحرص الإنسان على تبديل الأخلاق المذمومة بأخلاق حسنة، ويُعْنَى بالجوانب الإيجابية في شخصيته وفي خُلقه.

الاعتكاف

« «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد»

[البقرة: ١٨٧]

الاعتكاف لغة: لزوم الشيء، وحبس النفس عليه.

وهو المكث في المسجد بنية التقرب إلى الله ﷻ، ومن معانيه: الرباط والجوار.

حِكمة الاعتكاف:

شرع الاعتكاف لِحِكَم كثيرة، وأعظمها: التقرب إلى الله ﷻ، والانقطاع عن الناس، والتفرغ للعبادة والقربة المحضة، ويكون في أوقات معينة يصفو فيها قلب العبد، ويقبل على ربه، ويتخفف من الشواغل، حتى ما كان منها واجباً كحقوق الأهل وحقوق الأولاد، وغير ذلك.

فبالاعتكاف يمتنع عن هذا كلّه، ويتفرغ لعبادة الله ﷻ وذكره، وتسبيحه، واستغفاره، وقراءة القرآن؛ وفي هذا تصفية للقلب.

قال ابن القيم رحمه الله: «لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفاً على جمعيته على الله، ولمّ شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى شُرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عُكوفُ القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق، والانشغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهمُّ كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه، وما يقرب منه؛ فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور، حين لا

أنيس له ولا ما يفرح به سواه؛ فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم»[1].

حُكْم الاعتكاف:

الاعتكاف سنة بإجماع أهل العلم، كما ذكره ابن المنذر وغيره، والأحناف والشافعية يرون أنه سنة مؤكدة في العشر الأواخر من رمضان، أما الحنابلة فيطلقون السُّنِّيَةَ ولا يؤكدونها.

والدليل على سُنيته قول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ [البقرة:١٨٧]، وقوله ﷻ: ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة:١٢٥].

وقد اعتكف الرسول ﷺ واعتكف أزواجه من بعده، واعتكف الصحابة رضي الله عنهم[2]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ عمر سأَل النبي ﷺ فقال: كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال «فأوف بنذرك»[3].

أقسام الاعتكاف:

الاعتكاف قسمان:

الأول: مندوب أو مسنون، وهو ما ليس بواجب.

الثاني: واجب، وهو الاعتكاف المنذور.

وقت الاعتكاف؟

جمهور العلماء على أنه مسنون في كل وقت، في رمضان وغيره، وأفضله في

---

(١) زاد المعاد (٢ / ٨٢).

(٢) البخاري (٢٠٢٥)، ومسلم (١١٧١).

(٣) البخاري (١٩٢٧). ومسلم (١٦٥٦).

رمضان، وآكده في العشر الأواخر منه.

شروط الاعتكاف:

الاعتكاف يصح من كل إنسان بشروط:

١- أن يكون مسلماً، فلا يصح من كافر.

٢- أن يكون عاقلاً، فلا يصح من مجنون.

٣- أن يكون بالغاً أو مميزاً؛ لأنه لا تتصور النية إلا ممن حصل عنده تمييز.

٤- أن يكون طاهراً من الحدث الأكبر، ويدخل في هذا الجنب إذا تعمّد المكث، فإنه لا يصح منه الاعتكاف، ويدخل في ذلك الحائض والنفساء عند الجمهور، وفي المسألة قول آخر في الحائض والنفساء في جواز مكثهما في المسجد إذ ا أمنتا تلويثه.

والمرأة يصح لها الاعتكاف باتفاق الفقهاء كالرجل، وقد ورد في السنة أن أزواج النبي ﷺ اعتكفن، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «ثم اعتكف أزواجه من بعده»[1].

٥- ولا بد أن يكون الاعتكاف في مسجد باتفاق؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧]، وقوله سبحانه: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥]، ولما جاء عن عائشة وعلي وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم: أنه لا اعتكاف إلا في مسجد[2].

وأفضل المساجد للاعتكاف والصلاة هي: المسجد الحرام، ثم المسجد النبوي، ثم المسجد الأقصى، ثم المسجد الجامع، ثم المسجد الذي تقام فيه الجماعة.

---

(١) البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٨٠٠٩٠).

ويصح الاعتكاف في المسجد الجامع غير المساجد الثلاثة، وما ذكر بعض أهل العلم من أنه لا يصح الاعتكاف إلا في أحد المساجد الثلاث فقول مرجوح، والجماهير من أهل العلم قالوا بصحة الاعتكاف في كل مسجد تقام فيه الصلاة؛ لعموم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ [البقرة:١٨٧]، فعمَّم ولم يخصص.

آداب المعتكف:

يستحب للمعتكف الاشتغال بما يتقرب به إلى الله ﷻ من القُرَبِ المحضة، وهي التي تكون بين العبد وبين الله تبارك وتعالى؛ كالصلاة، والاستغفار، والذكر، وقراءة القرآن، والتسبيح، ونحو ذلك.

أو القرب المتعدِّية إن خلصت فيها النية؛ كتعليم القرآن الكريم، والتحديث، وتدريس العلم، والدعوة إلى الله ﷻ، والنصح، وما أشبه ذلك.

وكذلك اجتناب ما لا يعنيه من قول أو فعل، وهو مأمور به في كل وقت؛ لحديث: «إن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1].

حكم الخروج من المعتكف:

الخروج لغير حاجة مبطل للاعتكاف باتفاق الفقهاء، كما أن الخروج لحاجة لا يبطل الاعتكاف عندهم.

وهنا مسائل حول خروج المعتكف من المسجد:

---

(١) الترمذي (٢٣١٨)، والذي عليه جمهور المحدثين أن الحديث مرسل، فهو من حديث علي بن الحسين عن النبي ﷺ مرسلاً، وهذا ما رجحه الإمام أحمد ويحيى بن معين والبخاري وابن رجب وغيرهم.

الأولى: يجوز الخروج لقضاء الحاجة للضرورة، كالبول ونحوه، وهذا بإجماع الفقهاء، كما ذكر ابن المنذر وغيره.

الثانية: جواز الخروج للوضوء، والاغتسال الواجب خصوصاً إذا لم يتمكن منه في المسجد من غير أذى ولا ضرر، وهذا بإجماعهم - أيضاً -.

الثالثة: الخروج للأكل والشرب؛ فإن كان يمكن إحضار الأكل والشرب له من غير ضرر وجب عليه المكث، وحرم عليه الخروج، أما إذا لم يجد من يأتيه بطعامه وشرابه فإنه يخرج، ولا يُخِلُّ هذا باعتكافه.

الرابعة: الخروج لغسل الجمعة، ونحوه من الأغسال المستحبة؛ فهذا جائز عند المالكية خلافاً للجمهور، والأقرب أنه لا يخرج إلا على القول بوجوب الغُسل.

الخامسة: الخروج لصلاة الجمعة، وهذا واجب كما أسلفنا، ويخرج حتى لو لم يشترطه.

السادسة: الخروج لعيادة المريض، وصلاة الجنازة، فعند الجمهور أنه لا يخرج لذلك إلا إذا اشترطه، فعن عائشة ﵂ أنها كانت تقول: «إن كنت لأدخل البيت للحاجة والمريض فيه فما أسأل عنه إلا وأنا مارّة»[1]؛ فهذا دليل على أنه لا يخرج لعيادة المريض، ولا لاتباع الجنائز.

السابعة: الخروج نسياناً، فلو أنه نسي وخرج من معتكفه فإنه لا يبطل اعتكافُه بذلك عند الجمهور، وهو الصحيح، وهو مذهب الحنابلة والشافعية؛ لقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، ولحديث: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان»[2]، ولأن النسيان في الصوم لا يُفسده، فكذلك في الاعتكاف.

---

(١) مسلم (٢٩٧).

(٢) ابن ماجة (٢٠٤٣).

الثامنة: الخروج للمرض، والمرض نوعان: مرض يسير، مثل الصداع اليسير أو الحُمى اليسيرة، فهذا لا يخرج بالاتفاق، أما المرض الشديد الذي يحتاج الإنسان معه إلى الخروج فإنه لا يُبطل الاعتكاف على الصحيح؛ كأن يذهب إلى المستشفى، وقد ينام فيه بعض الوقت، أو يتناول مغذياً أو غيره، ثم يعود إلى معتكفه ويبني على ما مضى.

وجمهور الفقهاء يرون أن المعتكف إذا اشترط شيئاً قبل اعتكافه جاز له ذلك. والقول بالاشتراط يحتاج إلى دليل، ثم ما فائدة الاعتكاف إن كان اشترط، خاصة من يشترط الخروج لأشياء كثيرة كما هو الحال عند بعضهم؛ لسوء فهمهم للاشتراط الذي ذكره الفقهاء؟

مبطلات الاعتكاف:

أولاً: الجماع باتفاق الفقهاء، إذا كان عامداً عالماً ذاكراً؛ لقول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ [البقرة:١٨٧]؛ لكن إن نسي فاعتكافه صحيح وماضٍ ولا شيء عليه، وإن باشر وقبّل فأنزل فسد اعتكافه، وإن باشر أو قبّل أو لمس ولم ينزل لم يفسد اعتكافه.

ثانياً: الخروج من المسجد، فإن ركني الاعتكاف: المكث فيه، والنية، والخروج المعتبر كأن يخرج في الصباح ولا يعود إلا في المساء لغير حاجة.

ثالثاً: زوال التكليف، كالجنون والرِّدَّة والسُكر ونحوها مما يزول بها عن الإنسان التكليف.

رابعاً: الحيض والنفاس عند الأكثرين؛ لأن الحائض والنفساء لا تمكثان في المسجد.

هل الصيام شرط للاعتكاف في غير رمضان؟

الصيام في الاعتكاف مستحب وليس بواجب؛ والأولى للمعتكف أن يصوم، أو يعتكف في وقت الصيام، ولا يجب عليه ذلك، وهذا مذهب الحنابلة والشافعية والظاهرية، ونقل عن جمع من الصحابة كعلي وابن عباس وابن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم، وهو مذهب الحسن البصري وأبي ثور وداود وابن المنذر.

أقل قدر للاعتكاف:

أقل قدر للاعتكاف عند جمهور الفقهاء أنه ليس له حد، فكل قدر مكثه في المسجد يمكن أن يُسمى اعتكافاً، حتى لو مكث ساعة من نهار، وبعضهم يقول: لحظة.

والقول الثاني: أن أقلَّه يوم، وقيل: ليلة، وقيل: يوم وليلة، والأقرب -والله أعلم- أنه إن جلس وقتاً زائداً عن المعتاد في المسجد بنية الاعتكاف جاز له ذلك.

ثمرات الاعتكاف:

أولاً: التربية على الإخلاص؛ لأن المعتكف لا يراه أحد إلا الله جل وعلا.

ثانياً: التربية على التخلص من فضول الكلام، والطعام، والنوم، والخلطة.

ثالثاً: التربية على العبادة؛ خاصة قيام الليل، وقراءة القرآن، والاستغفار، والذكر، والمناجاة.

رابعاً: تقوية الصِّلة بالله تعالى، واللجوء إليه ومناجاته.

خامساً: التفكر والتعود على الاستخدام الأمثل لنعمة العقل.

سادساً: مراجعة النفس ومحاسبتها في أمور الدين والدنيا وفي أمور العبادة وغيرها.

سابعاً: التربية على الاستخدام الأمثل للوقت، واستغلاله في القراءة والحفظ والمدارسة في العلم.

ثامناً: إحياء سنة الاعتكاف التي هجرها كثير من الناس.

تاسعاً: ترك المعاصي أو التقليل منها.

عاشراً: التربية على الصبر، ومجاهدة النفس، وعدم اتباع الهوى والشيطان.

العشر الأواخر

» عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله» البخاري ومسلم.

تبدأ العشر الأواخر من رمضان من ليلة الحادي والعشرين من رمضان، وتنتهي بخروج رمضان، سواء كان ناقصاً أو تاماً، فإن نقص الشهر فهي تسع، وإطلاق العشر عليها تغليباً للأصل أنها عشر لا تسع.

والعشر الأواخر من رمضان لها مزيةُ فضلٍ على غيرها، وذلك أنها ليالي الإحياء التي كان رسول الله ﷺ يحييها كلها، وفيها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

وقد كان النبي ﷺ يخص العشر الأواخر بمزيد عناية من الاجتهاد، والعبادة، والحرص على الخير، ويجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها.

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شدَّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله»[1]، وزاد مسلم: «وجدَّ وشدَّ المئزر»[2].

إحياء الليل:

ومعنى «أحيا ليله» أي: استغرقه بالسهر في الصلاة وغيرها.

وقد جاء من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لا أعلم رسول الله ﷺ قرأ القرآن كلَّه في ليلة، ولا قام ليلة حتى الصباح، ولا صام شهراً كاملاً قطُّ غير رمضان»[3].

---

(١) البخاري (١٩٢٠).

(٢) مسلم (١١٧٤).

(٣) النسائي (١٦٤١)، و ابن ماجة (١٣٤٨).

فيُحمل قولها: «وأحيا ليله» على أنه ﷺ كان يقوم أغلب الليل، أو يقوم الليل كله؛ لكن يتخلل ذلك العشاء والسحور وغيرها، فالمراد: إحياء معظم الليل.

ومن ذلك إيقاظ الرجل أهله للصلاة والعبادة:

قالت عائشة رضي الله عنها: «وأيقظ أهله» أي: أيقظ أزواجه للقيام، وقد كان ﷺ يوقظ أهله في سائر السنة؛ لكن كان ذلك لقيام بعض الليل، ففي البخاري عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ النبي ﷺ استيقظ ليلة فقال: «سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الفتنة، ماذا أنزل من الخزائن من يوقظ صواحب الحجرات؟ يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»[1].

فإيقاظه ﷺ لأهله في العشر الأواخر من رمضان كان أبرز منه في سائر السَّنَةِ.

الاجتهاد في العبادة:

ففي صحيح مسلم تقول عائشةُ رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»[2].

قال الشافعي رحمه الله: «ويسنُّ زيادة الاجتهاد في العبادة في العشر الأَواخر من رمضان»[3].

وقد كان النبي ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شد المئزر كما في الصحيحين[4]، وشدُّ المئزر كناية عن الاستعداد للعبادة والاجتهاد والقيام فيها زيادة على المعتاد والتشمير لها؛ كما يقال: شددت لهذا الأمر مئزري، أي: شمرت له وتفرغت.

---

(١) البخاري (١٠٧٤).

(٢) مسلم (١١٧٥).

(٣) المجموع (٦/ ٣٩٧).

(٤) البخاري (١٩٢٠)، مسلم (١١٧٤).

وقيل: «شد مئزره» كناية عن اعتزال النساء وترك الجماع، وهو الأقرب، فهذه كناية معروفة عند العرب، قال قائلهم:

قَومٌ إِذا حارَبوا شَدُّوا مَآزِرَهُم ... عَنِ النِّساءِ وَلَو باتَت بِأَطهارِ

تحري ليلة القدر:

فمن عظيم فضل هذه العشر أن فيها ليلة القدر، وهي أعظم ليالي العام، فهي خير من ألف شهر، فلو قُدِّر للعبد أن يجتهد ويواصل عبادة ربه قرابة أربعة وثمانين عاماً ليس فيها ليلة القدر؛ لكان قيامه ليلة القدر وحدها خيراً من هذه السنوات الطوال، وهذا من عظيم فضل الله، وإنعامه على هذه الأمة.

قال النخعي: «العمل فيها خير من العمل في ألف شهر».

وعن أَبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه[1].

وقوله ﷺ: «إيماناً» أي: إيماناً بالله وتصديقاً بما رتب على قيامها من الثواب. و«احتساباً» للأجر والثواب.

وهذه الليلة في أوتار العشر الأواخر أرجأ، فعن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان» متفق عليه[2].

وهي في السبع الأواخر أقرب، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «التمسوها في العشر الأواخر -يعني ليلة القدر- فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقي»[3].

---

(١) البخاري (١٨٠٢). ومسلم (٧٦٠).

(٢) البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١١٦٩).

(٣) مسلم (١١٦٥).

وأقرب السبع الأواخر ليلة سبع وعشرين؛ لحديث أبي بن كعب يقول وقيل له: إن عبد الله بن مسعود يقول: من قام السَنة أصاب ليلة القدر، فقال أُبيٌّ: «والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان (يحلف ما يستثني)، ووالله إني لأعلم أي ليلة هي، هي الليلة التي أمرنا بها رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة صبيحة سبع وعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها»[1].

فجدير بالمسلم أن يتحرَّى هذه الليلة، وأن يحيي وقته ذكراً وتسبيحاً وتلاوةً واستغفاراً.

ويستحب الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان؛ لقول رسول الله ﷺ: «التمسوها في العشر الأواخر»، وإنَّما تلتمس بالعمل الصالح لا بأنَّ لها صورة وهيئة يمكن الوقوف عليها بخلاف سائر اللَّيالي، كما يظن بعض الناس، إنَّما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ ﴾ [الدخان:٣-٤]، وقال تعالى: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝ ﴾ [القدر:٣-٥]، فبهذا بانت عن سائر اللَّيالي فقط، والملائكة لا يراهم أحدٌ بعد النبي ﷺ.

اعتكاف العشر الأواخر:

هو من أجلِّ الأعمال في العشر الأواخر، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: «أنَّ النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده»[2]، فالاعتكاف مشروع مستحب، وهو لزوم مسجد لقربة على صفة مخصوصة.

---

(١) مسلم (٧٦٢).

(٢) البخاري (١٩٢٢)، مسلم (١١٧٢).

ومقصوده: عكوف القلب على الله تعالى والخلوة به، ويستحضر المعتكف النية الصالحة فيه، مع احتساب الأجر، واستشعار الحكمة منه، وأن يلزم مسجده ولا يخرج إلا لحاجة ضرورية، مع المحافظة على السنن والأذكار مُطلقِها ومقيَّدِها، كالرواتب والضحى والقيام، وأذكار طرفي النهار، وأدبار الصلوات وغير ذلك، والإكثار من قراءة القرآن، والإقلال من الطعام والنوم وكثرة الكلام فيما لا ينفع، مع النصيحة للمسلمين والتواصي بالحق والصبر في رمضان، وخاصة العشر الأواخر.

ويستحب كذلك البذل والجود في غير سرف ولا مخيلة؛ لما جاء في الصحيحين عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة»[1].

قال في المجموع: «والجود والإفضال مستحب في شهر رمضان، وفي العشر الأواخر أفضل؛ اقتداء برسول الله ﷺ وبالسلف؛ ولأنه شهر شريف فالحسنة فيه أفضل من غيره؛ ولأن الناس يشتغلون فيه بصيامهم، وزيادة طاعتهم عن المكاسب، فيحتاجون فيه إلى المواساة»[2].

(١) البخاري (١٨٠٣)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٢) المجموع (٦/ ٣٩٨).

ليلة القدر

» «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» [القدر:٢-٣]

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ ﴾ [القدر:٢] إنها الليلة المباركة في كتاب الله ﷻ، يقول الله تعالى: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [الدخان:١-٦].

وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، وغيرهم من علماء السلف ومفسريهم: أنَّ الليلة المباركة هي ليلة القدر وفيها أنزل القرآن... وفيها يفرق كل أمر حكيم، أي: أي يُكتب، ويُفصَّل.

وقيل: إن المعنى أنه يبين في هذه الليلة للملائكة.

وقيل تُقدَّر في ليلة القدر مقادير الخلائق على مدى العام، فيُكتب فيها الأحياءُ والأموات، والناجون والهالكون، والسعداء والأشقياء، والحاجُ والداجُّ، والعزيز والذليل، ويكتب فيها الجدْب والقحط، وكل ما أراده الله تبارك وتعالى في تلك السنة.

والظاهر -والله أعلم- بكتابة مقادير الخلائق في ليلة القدر: أنه ينقل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ؛ ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الرجل ليمشي في الناس وقد رُفع في الأموات»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [الدخان:٣-٤] قال: «يفرق فيها أمر الدنيا من السنة إلى السنة»[1].

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١٠)، والسنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٠٧)، والدرّ المنثور (٥/ ٧٣٩).

سبب تسميتها بليلة القدر:

قال الله ﷻ عنها في السورة الخاصة بها: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ [القدر:١-٥].

ففي تسميتها بذلك خمسة أقوال:

أحدها: لعظيم قدرها، وجلالة مكانتها عند الله ﷻ، وكثرة مغفرة الذنوب وستر العيوب في هذه الليلة المباركة، قال الزهري: «القدر العظمة، من قولك: لفلان قدر».

ويشهد له قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الأنعام:٩١].

الثاني: قال الخليل بن أحمد: إنَّه من الضيق، أي: هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون، ويشهد له قوله تعالى: ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴾ [الطلاق:٧].

الثالث: قال ابن قتيبة: «إن القدر الحكم كأنَّ الأشياء تقدر فيها».

الرابع: قال أبو بكر الوراق: «لأنَّ من لم يكن له قدر صار بمراعاتها ذا قدر».

الخامس: قال علي بن عبيد الله: «لأنَّه نزل فيها كتاب ذو قدر، وتنزل فيها رحمة ذات قدر، وملائكة ذوو قدر»[1].

فضائل ليلة القدر:

١ - أنها خيرٌ من ألف شهر:

قال تعالى: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ ﴾ [القدر:٣].

قال مجاهد: «عملها وصيامها وقيامها خيرٌ من ألف شهر»[2].

---

(١) زاد الميسر (٩/ ١٨٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٣).

٢- نزول الملائكة والروح فيها:

قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ ﴾ [القدر:٤].

قال البغوي: «قوله ﷻ: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ يعني جبريل عليه السلام معهم، ﴿ فِيهَا ﴾ أي: ليلة القدر ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ أي: بكل أمرٍ من الخير والبركة»[١].

وقال ابن كثير: «أي: يكثر تنزُّل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزُّل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحِلَقِ الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدقٍ تعظيماً له»[٢].

٣- أنها سلام إلى مطلع الفجر:

قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝ ﴾ [القدر:٥].

عن مجاهد في قوله: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ ﴾ [القدر:٥] قال: «سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى»[٣].

وقال ابن الجوزي: «... وفي معنى السلام قولان:

أحدهما: أنه لا يحدث فيها داء ولا يُرسَل فيها شيطان، قاله مجاهد.

والثاني: أن معنى السلام: الخير والبركة، قاله قتادة، وكان بعض العلماء يقول: الوقف على ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ على معنى تنزّل الملائكة بالسلام»[٤].

٤- من قامها إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً

---

(١) تفسير البغوي (٨/ ٤٩١).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٨).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٣).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٨/ ٢٨٧).

غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه»[1].

قال ابن بطال: «ومعنى قوله: «إيماناً واحتساباً» يعني مُصدِّقاً بفرض صيامه، و مُصدِّقاً بالثواب على قيامه وصيامه، ومحتسباً مريداً بذلك وجه الله، بريئاً من الرياء والسمعة، راجياً عليه ثوابه»[2].

قال النووي: «معنى إيماناً: تصديقاً بأنّه حق، مقتصد فضيلته، ومعنى احتساباً: أن يريد الله تعالى وحده، لا يقصد رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص، والمراد بالقيام: صلاة التراويح، واتفق العلماء على استحبابها»[3].

تحري ليلة القدر:

يستحب تحريها في رمضان، وفي العشر الأواخر منه خاصة؛ لقول الرسول الله ﷺ:«التمسوها في العشر الأواخر»[4]، وخاصة في أوتار العشر الأواخر، وهي ليلة إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى»[5]، فبين عليه الصلاة والسلام أنها أرجى ما تكون في الأوتار من العشر الأواخر.

وفي البخاري من حديث عبادة بن الصَّامت: أن رسول الله ﷺ خرج يخبر بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: «إني خرجت لأخبركم بليلة القدر، وإنه

(١) البخاري (٣٥)، ومسلم (٧٦٠).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٥٩).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/ ٣٩).

(٤) البخاري (٢٠٢١).

(٥) البخاري (٢٠٢١).

تلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم، التمسوها في السبع والتسع والخمس»[1]، وهذا دليل على شؤم الخصومة في غير حق، خاصة الخصومة في الدين وعظيم ضررها، وأنها سبب في غياب الحق وخفائه على الناس.

ولذلك جاء عنِ ابنِ عمر ﷺ أَنَّ رِجالاً مِن أَصحابِ النبِي ﷺ أروا ليلة القدرِ فِي المنامِ فِي السبْعِ الأَواخِرِ، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطت في العشر الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها من العشر الأواخر»[2].

ومعنى قوله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت» أي: اتفقت، فكأنهم رأوها في المنام، إما جاءهم أحد وأخبرهم أنها في السبع الأواخر، أو رأوا في المنام أن ليلة القدر تكون في السبع الأواخر، فأمر النبي ﷺ بتحريها في هذه السبع الأواخر، خاصة في ليلة سبعٍ وعشرين؛ فإنها أرجى ما تكون ليلة سبعٍ وعشرين.

بل جاء من حديث معاوية ﷺ عند أبي داود أن النبي ﷺ قال: «ليلة القدر ليلة سبعٍ وعشرين»[3].

وليلة القدر أرجى ما تكون ليلة سبعٍ وعشرين؛ للحديثين السابقين، ولأنَّ هذا مذهب أكثر الصحابة ، وجمهور العلماء، حتى إنَّ أُبي بن كعب ﷺ كان يحلف على ذلك - كما في صحيح مسلم - يحلف أنها ليلة سبع وعشرين.

وكذلك ابن عباس ﷺ قال: إنها ليلة سبع وعشرين، وله استنباطات:

منها: أن كلمة «فيها» من السورة ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدر:٤] هي الكلمة السابعة والعشرين.

ومنها: ما ورد أن عمر ﷺ لما جمع الصحابة، وجمع ابن عباس معهم، فقالوا لابن

---

(١) البخاري (٤٩).

(٢) البخاري (٢٠١٥)، ومسلم (١١٦٥).

(٣) أبو داود (١٣٨٦) وصححه الألباني.

عباس: هذا كأحد أبنائنا فلماذا تجعله معنا؟ فقال: إنه فتى له قلب عقول، ولسان سئول، وأثنى عليه، ثم سأل الصحابة عن ليلة القدر، فأجمعوا على أنها في العشر الأواخر، فقال لابن عباس، فقال: إني لأعلم أو أظن أين هي، إنها ليلة سبع وعشرين، فقال: وما أدراك؟ قال: إن الله تعالى خلق السموات سبعاً، وخلق الأرضين سبعاً، وجعل الأيام سبعاً، وخلق الإنسان من سبع، وجعل الطواف سبعاً، والسعي سبعاً، ورمي الجمار سبعاً؛ ولذلك رأى ابن عباس أن ليلة القدر ليلة سبع وعشرين، وكأن هذا ثابت عن ابن عباس رضي الله عنه.

وقال بعض العلماء: إنَّ ليلة القدر ليلة سبع وعشرين؛ لأنَّ كلمة (ليلة القدر) تسعة أحرف، وقد ذكرت في السورة ثلاث مرات، وثلاث في تسع سبع وعشرون، ولم يرد دليل شرعي على أن مثل هذه الحسابات يمكن أن تعرف بها ليلة القدر.

والظاهر -والله تعالى أعلم- أنَّ ليلة القدر تتنقل من ليلة إلى أخرى، فغالباً ما تكون ليلة سبع وعشرين؛ لكن قد تكون ليلة إحدى وعشرين أحياناً، كما في حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «قد أُريت هذه الليلة ثم أنسيتها، فابتغوها في العشر الأواخر، وابتغوها في كل وتر، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين»، قال أبو سعيد: فاستهلت السماء في تلك الليلة فأمطرت، فوكف المسجد في مصلى النبي ﷺ ليلة إحدى وعشرين، فبصرت عيني رسول الله ﷺ ونظرت إليه انصرف من الصبح ووجهه ممتلئ طيناً وماءً»[1]، وهذا دليل على أنها كانت في ذلك العام ليلة إحدى وعشرين.

ما يستحب في ليلة القدر:

يستحب الإكثار في ليلة القدر من الدعاء، خاصة الدعاء الذي علمه النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها حين قالت: إن أريت ليلة القدر ماذا أقول؟ فقال لها النبي ﷺ: «قولي:

(١) البخاري (١٩١٤)، ومسلم (١١٦٧).

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»[1].

وكذلك الحرص على صلاة التراويح، والاعتكاف، والتوبة والإنابة، وغير ذلك من أعمال الطاعة.

العلامات التي تعرف بها ليلة القدر:

العلامة الأولى: ثبتت في صحيح مسلم من حديث أُبي ﷺ «أن النبي ﷺ ذكر أن من علامتها: أن الشمس تطلع صبيحتها لا شعاع لها»[2].

العلامة الثانية: ثبتت من حديث ابن عباس عند ابن خزيمة، ورواه الطيالسي أيضاً في مسنده، وسنده صحيح، أنَّ النبي ﷺ قال: «ليلة القدر ليلة طلقة لا حارة ولا باردة، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة»[3].

العلامة الثالثة: ما ثبت عند الطبراني بسند حسن من حديث واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: «إنها ليلة بلجة- يعني: منيرة مضيئة- لا حارة ولا باردة، لا يرمى فيها بنجم»[4]، يعني: لا ترى فيها هذه الشهب التي ترسل على الشياطين.

وذكر بعض أهل العلم علامات أخرى لا أصل لها، وليست صحيحة، إنما نذكرها لبيان أنها لا تصح، من ذلك: ما ذكره الطبري عن قوم أنهم قالوا: إن من علامات ليلة القدر أن الأشجار تسقط حتى تصل إلى الأرض، ثم تعود إلى أوضاعها، وهذا لا يصح.

وذكر بعضهم أن المياه المالحة تصبح حلوة في ليلة القدر، وهذا لا يصح.

وذكر بعضهم أن الكلاب لا تنبح فيها، وهذا لا يصح.

---

(١) الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجة (٣٨٥٠) وسنده صحيح.

(٢) مسلم (٧٦٢).

(٣) ابن خزيمة (٢١٩٢). قال الألباني صحيح بشواهده.

(٤) الطبراني في الكبير (١٣٩).

وذكر بعضهم أن الأنوار تكون في كل مكان حتى في الأماكن المظلمة، وهذا لا يصح.

العلم بليلة القدر:

ليس من الضروري لمن أدرك ليلة القدر أن يعلم أنها ليلة القدر؛ بل قد يكون ممن لم يكن له منها إلا القيام والعبادة والخشوع والبكاء والدعاء من هم أفضل عند الله تعالى، وأعظم درجة ومنزلة ممن عرفوا تلك الليلة، فالعبرة هي بالاستقامة، ولزوم الجادة، والتعبد لله ﷻ، والإخلاص، كما ذكره طائفة من أهل العلم.

وليلة القدر ليست خاصة لهذه الأمة على الراجح؛ بل هي عامة لهذه الأمة وللأمم السابقة؛ لما رواه النسائي عن أبي ذر أنه قال: يا رسول الله! هل تكون -أي: ليلة القدر- مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت، أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: «بل هي إلى يوم القيامة»[1].

(١) أحمد (٢١٥٣٨).

شهر الاستغفار

« فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك »

[محمد:١٩]

الخطأ من طبيعة ابن آدم، فهو مخلوق من طين، وركبت فيه غرائز وشهوات يميل لها ميلاً فطرياً، وخلق الله ﷻ الشياطين الذين تمحَّضوا للشر والفساد وإغواء بني آدم.

وقد يستقيم الإنسان ويصلح حتى يكون في أعلا عليين، وقد ينحطُّ ويتردى حتى يصبح في أسفل سافلين.

وقد امتنَّ الله ﷻ على عباده بأن جعل من أسمائه جل وعلا: الغفور، الحليم، التواب، واسع المغفرة، غافر الذنب، وقابل التواب، الرحمن، الرحيم، الكريم، الوهاب، الجواد؛ وبمقتضى ذلك يغفر الله لمن يشاء من عباده، ويتجاوز عن سيئاتهم وذنوبهم وخطاياهم، إذا تابوا إليه وأنابوا ولم يصروا ومن أعظم ما شرعه الله لنا الاستغفار.

والاستغفار: هو طلب المغفرة، والمغفرة: هي وقاية شر الذنوب مع سترها.

وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالاستغفار في مواطن كثيرة قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد:١٩].

وجاء في الصحيح عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: «إن كان النبي ﷺ ليقوم ليُصلي حتى تَرِمُ قدماه أو ساقاه. فيقال له، فيقول: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[1].

(١) البخاري (١٠٧٨)، مسلم (٢٨١٩).

وكان يصوم حتى يقال: لا يفطر، وكان يقوم من الليل أكثره، أو نصفه، أو ثلثه، وربما قام الليل كلَّه إلا قليلاً، وكانت حياته ﷺ جهاداً متواصلاً، ودعوة وابتلاءً، ومع ذلك قال له ربُّه: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد:١٩]، ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [غافر:٥٥]، وقال له: ﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النساء:١٠٦].

حالات الاستغفار:

أولاً: حال التلبس بالعبادة أو فراغه منها، فيقبل العبد على الاستغفار، يدفع به عن نفسه تبعة التقصير، أو معرَّة الاغترار، وفي آخر ما أنزل الله تعالى على رسول الله ﷺ: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر:٣].

وفي الصحيح أنَّه ما صلى صلاة بعدما نزلت عليه هذه السورة إلا قال فيها: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»[(١)]. وذلك في نهاية أمره صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا فهم منه الصحابة أنَّه أجلُ رسول الله أعلمه الله إيَّاه، فأمره سبحانه بالاستغفار في نهاية أحواله، وآخر أمره على ما كان عليه، وآخر ما سُمِع من كلامه عند قدومه على ربه: «اللهم اغفر لي، وألحقني بالرفيق الأعلى»[(٢)]، وكان يختم كل عمل صالح بالاستغفار؛ كالصوم، والصلاة، والحج، والجهاد، فإنَّه كان إذا فرغ منه وأشرف على المدينة قال: «آيبون تائبون لربنا حامدون»[(٣)].

وشُرِع أن يُختم المجلس بالاستغفار، وإن كان مجلس خير وطاعة.

ثانياً: عند المعصية؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ

(١) البخاري (٤٦٨٣)، مسلم (٤٨٤).

(٢) البخاري (٤١٧٦).

(٣) البخاري (٢٩١٩)، ومسلم (١٣٤٥).

ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٥]، وفي الحديث: «ما من عبد يذنب ذنباً، فيحسن الطُّهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ [آل عمران:١٣٥] إلى آخر الآية[1].

ثالثاً: حالة الغفلة، وكلنا خطاءون غافلون، وما أكثر الغافلين الشاردين عن ربهم! ومن تأمل هدي سيد البشر وجده لا يفتر عن الاستغفار، وفي حديث الأَغر المزني أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[2]، وقوله: «ليغان» بالغين المعجمة، وهو ما يغشى القلب من الفترات والغفلات عن الذكر.

والاستغفار التام الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار، كما مدح الله تعالى أهله، ووعدهم بالمغفرة.

قال أحد السلف: «من لم يكن ثمرةُ استغفاره تصحيحَ توبته فهو كاذب في استغفاره»، وفي ذلك يقول بعضهم:

أَستَغفِرُ اللهَ مِن أَستَغفِرُ اللهَ ... مِن لَفظةٍ بَدَرَت خالَفتُ مَعناها

وَكَيفَ أَرجُو إِجابَاتِ الدُّعَاءِ وَقَد ... سَدَدتُ بِالذَّنبِ عِندَ اللهِ مَجراها

فأفضل الاستغفار ما قرن به ترك الإصرار، وهو حينئذ يؤمل توبة نصوحًا، وإن قال بلسانه: (استغفر الله) وهو غير مقلع بقلبه؛ فهو داع لله بالمغفرة، كما يقول: اللهم اغفر لي، فقد يرجى له الإجابة.

---

(١) الترمذي (٣٠٠٦)، وأبو داود (١٥٢١).

(٢) مسلم (٢٧٠٢).

وأفضل أنواع الاستغفار: أن يبدأ العبد بالثناء على ربه، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة، كما في حديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبُوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأبُوءُ لك بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»(١).

ومن أنواع الاستغفار: أن يقول العبد ما جاء في الحديث: «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان قد فر من الزحف»(٢).

وعن ابن عمر قال: كان يعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور»(٣).

ومنه: أستغفر الله، ومنه: رب اغفر لي.

فوائد الاستغفار:

١- سبب لمغفرة الذنوب: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝﴾ [نوح:١٠].

٢- نزول الأمطار: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝﴾ [نوح:١١].

٣- الإمداد بالأموال والبنين: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح:١٢].

٤- دخول الجنات: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [نوح:١٢].

---

(١) البخاري (٥٩٤٧).

(٢) أبو داود (١٥١٧).

(٣) الترمذي (٣٤٣٤).

٥- زيادة القوة بكل معانيها: ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود:٥٢].

٦- المتاع الحسن: ﴿ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا ﴾ [هود:٣].

٧- دفع البلاء: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال:٣٣].

٨- الاستغفار سبب لنزول الرحمة: ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النمل:٤٦].

٩- وهو كفارة للمجلس؛ فعن أبي برزة الأسلمي قال: كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»، فقال رجل: يا رسول الله! إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى. فقال: «كفارة لما يكون في المجلس»[1].

١٠- يزيل الهم والغم؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»[2].

قال ابن القيم رحمه الله: «وأما تأثير الاستغفار في دفع الهم والغم والضيق؛ فلما اشترك في العلم به أهل الملل وعقلاء كل أمة أنَّ المعاصي والفساد توجب الهمَّ والغمَّ، والخوف والحزن، وضيق الصدر، وأمراض القلب، حتى إنَّ أهلها إذا قضوا منها أوطارهم وسئمتها نفوسُهم ارتكبوها دفعاً لما يجدونه في صدورهم من الضيق والهم والغم، كما قال شيخ الفسوق:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ ... وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

(١) أبو داود (٤٨٥٩).

(٢) أبو داود (١٥١٨)، وأحمد (٢٢٣٤) واللفظ له.

وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام في القلوب، فلا دواء لها إلا التوبة والاستغفار»[1].

ويروى عن لقمان عليه السلام أنَّه قال لابنه: «يا بني! عوِّد لسانك: اللهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً».

وقالت عائشة رضي الله عنها: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً».

وقال أبو المنهال: «ما جاور عبد في قبره من جار أحب من الاستغفار».

وقال قتادة: «إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم فالذنوب، وأما دوائكم فالاستغفار».

وقال الحسن: «أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقاتكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة»[2].

---

(١) زاد المعاد ٤/ ١٨٥.

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩٤).

شقائق الرجال

» النساء شقائق الرجال

«النساء شقائق الرجال»[1]، كما قال النبي ﷺ، فما ثبت للرجال ثبت للنساء، وهو مُطَّرد في جُل الأحكام إلا ما خصه الدليل، فيجب عليهن الصوم، ويستحب لهن الإكثار من التلاوة، والإنفاق في سبيل الله، وقيام الليل، والاجتهاد في الدعاء، وغير ذلك من القربات والطاعات.

بيد أن ثمة أموراً تهم المرأة في رمضان، منها:

أولاً: أن الحائض والنفساء لا تصلي ولا تصوم في رمضان، ولكنها تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، كما ثبت في حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصّوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»[2].

ثانياً: بعض النساء يستعملن حبوب منع العادة في رمضان؛ حرصاً منهن على الخير من صيام وصلاة مع المسلمين، أو العمرة، ونحن لا ننصح بأخذ هذه الحبوب؛ لأنها تضر في كثير من الحالات، وتضطرب العادة بسببها غالباً، فتأتيها أياماً وتذهب أخرى.

لكن إن أخذت المرأة هذه الحبوب فلتعلم أنه لا يجب عليها قضاء الأيام التي توقفت فيها العادة عنها، وهذا يشكل على كثير من النساء.

---

(١) أبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، وحسنه الألباني في الجامع الصغير وزيادته (٣٧٤٦).

(٢) البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٣٣٥).

ثالثاً: صلاة المرأة في بيتها أفضل، وكثير من النساء يرتدن المساجد لصلاة التراويح، وهذا لا بأس به، فقد لا تجيد تلاوة القرآن، أو تكون الجماعة أنشط لها؛ لكن على المرأة إن خرجت أن تراعي عدة أمور:

أهمها:

١-أن تكون المرأة غير مخشية الفتنة، أما التي يخشى الافتتان بها فلا تخرج أصلاً.

٢-أمن الطريق من توقع المفسدة، فإن تُوقع مفسدة حَرُم خروجها.

٣- أن يكون خروجها زمن أمن الرجال، ولا يفضي إلى اختلاطها بهم؛ لأنَّ تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية؛ وهو من أعظم نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، وقد منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه النساء قديماً من المشي في طريق الرجال، وكنَّ يلزمن جوانب الطريق تحرياً للستر والحشمة.

٤- أن يكون خروجها على تستر، غير متبرجة بزينة ولا متطيبة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا امرأَة أَصابت بخورًا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة»[١]. وفي الحديث عنْ أَبي هريرة أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن وهنَّ تفِلاتٌ»[٢]، و تَفِلاَتٌ أي: غير متطيبات.

قال ابن حجر: «ويلحق بالطيب ما في معناه؛ لأنَّ سبب المنع منه ما فيه من تحريك داعية الشهوة، كحسن الملبس، والحلي الذي يظهر، والزينة الفاخرة، وكذا الاختلاط بالرجال»[٣].

---

(١) مسلم (٤٤٤).

(٢) أبو داود (٥٦٥)، وأحمد (٩٦٤٣).

(٣) الفتح (٢/ ٣٤٩).

٥- أن يكون الخروج بإذن الزوج، حتى فيما لا بد منه، من زيارة والد مريض، وغيره.

٦- خفض الصوت وعدم الخضوع به، فبعض النساء يرفعن أصواتهن في المسجد، وهذا أمر مذموم، وفيه إيذاء للمصلين.

٧- بعض النساء إذا خرجت إلى المسجد انشغلت وغفلت عن أطفالها، مما يعرضهم للخطر من حوادث أو ضياع أو اختطاف، وربما اختلطوا مع من هم أكبر منهم، فيحصل من المفاسد ما لا يخفى؛ فمن الخطأ انشغال الأم بنافلة وتركها واجباً من رعاية أبنائها، والمحافظة على أخلاقهم وأرواحهم كما هو الحال مع أبيهم.

رابعاً: من الأخطاء التي ينبغي أن تحذر منها المرأة خاصة في رمضان: الغيبة؛ فإنها داء متفش ومرض عضال، وهي ذنب عظيم وإثم كبير، وقد حكى القرطبي الإجماع على أنها من الكبائر، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات:١٢].

وقد حكي عن عائشة، أن الغيبة تفطر الصائم وتوجب عليه قضاء ذلك اليوم، وبه قال الأوزاعي، والراجح خلاف ذلك؛ إلا أن الغيبة تضر بالصيام ضرراً بالغاً.

خامساً: المحافظة على الوقت في رمضان، فالوقت هو رأس مال العبد مع ربه إن استغله ولم يفرط فيه، وهو كنز يملكه كل الناس، غنيهم وفقيرهم، شريفهم ووضيعهم؛ لكنَّ السعيد من تفطَّن له وتأمل قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٥].

وقول النبي ﷺ: «لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة حتى يسأَل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»[1].

(١) الترمذي (٢٤١٧).

والمسلمة التقية هي التي تنتهز الفرص، وتجعل من رمضان شهر عبادة وخير وبركة على نفسها ومن حولها، فهي راعية في بيتها ومسئولة عن رعيتها.

وبعض النساء يضيع رمضان عندهن بين نهار ملؤه النوم وأعمال المطبخ، وليل يشكو من السهر فيما لا فائدة فيه.

ـ ولعل المطبخ أكثر ما يلتهم وقت الصائمة، ولو احتسبت المرأة ما تقوم به واستغلت وقتها في مطبخها؛ لكان غنيمة باردة، وذلك بأن تشغل لسانها بالذكر والتسبيح والاستغفار، خاصة قبل المغرب، أو تضع لها مسجلاً أو (إذاعة القرآن الكريم) فتستمع وتنصت بقلبها أثناء إعداد الطعام.

ولتحذر المسلمة من الإفراط في الطعام، وكأن شهر رمضان شهر أكل وشرب وليس شهراً للصيام؛ بل وكثير من النساء والرجال من تصيبه التخمة في رمضان، وتتفاقم الأمراض عندهم لكثرة الطعام والشراب.

وفي الحديث عن مقدام بن مَعْدِ يكَرِب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطن، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[1].

سادساً: بعض النساء قد تصوم رمضان ولا تصلي، أو لا تصلي إلا في رمضان، والله جل وعلا يقول عن الصلاة: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [التوبة:١١]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[2]، وقال: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»[3].

---

(١) الترمذي (٢٣٨٠)، وأحمد (١٧٢٢٥) واللفظ له.

(٢) مسلم (٨٢).

(٣) الترمذي (٢٦٢١).

فبعضهن تنام عن صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، أو تنام عن الظهر حتى يدخل وقت العصر، فهي تحافظ على الصيام، ولكنها تضيع أعظم ركن عملي في الإسلام وهو الصلاة، والله ﷻ يقول: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩].

العمرة في رمضان

» «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور
ليس له جزاء إلا الجنة»

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[1]، وهذا الفضل العظيم للعمرة عامٌّ في كل حين، وأما في رمضان فإن فضلها يتضاعف؛ حتى قال علماء الأحناف بندبها في هذا الشهر خاصة؛ لحديث ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار: «ما منعك أن تحجي معنا؟»، قالت: كان لنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه -لزوجها وابنها- وترك ناضحاً ننضح عليه، قال: «فإذا كان رمضان اعتمري فيه، فإن عمرة في رمضان حجة»[2]، وفي رواية: «فإن عمرة في رمضان تقضي حجة معي»[3].

ويا له من فوز أن تكون كمن حج مع رسول الله ﷺ، فوقف معه بعرفة، وبات معه بمزدلفة، وأفاض بصحبته إلى منى، وطاف بجواره وسعى -كما هو المفهوم من ظاهر هذا الحديث-.

وإن مما يثلج الصدر أن نرى إقبال المسلمين على العمرة في هذا الشهر الفاضل؛ لكن هناك بعض التنبيهات والوقفات يحسن التنبيه إليها:

حكم العمرة:

القول بعدم الوجوب هو قول مالك وأبي حنيفة، ورواية عن أحمد، ورواية عن الشافعي، وكأنها المذهب القديم له.

---

(١) البخاري (١٦٨٣)، ومسلم (١٣٤٩).

(٢) البخاري (١٦٩٠).

(٣) البخاري (١٧٦٤).

والظاهر -والله أعلم- أن ما ذهب إليه الأكثرون والجمهور هو الراجح هو أن العمرة غير واجبة؛ وذلك لأن القرآن الكريم نصَّ على وجوب الحج، ولم يذكر العمرة في موضع من المواضع، وكذلك الرسول ﷺ ذكر وجوب الحج وأكَّده كما في حديث: «أيها الناس! قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»[1]، وحديث: «بني الإسلام على خمس..»[2] وغيرها، ولم يذكر العمرة؛ بل ثبت أن رجلاً قال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال ﷺ: «أفلح إن صدق» أو «دخل الجنة إن صدق»[3]، وهذا الرجل لم يظهر أنه سيؤدي العمرة.

أما الأحاديث الواردة في العمرة فهي قسمان:

أحاديث وردت في وجوب العمرة، وأحاديث وردت في عدم وجوب العمرة، وكلها لا تخلو من مقال، وأمثل ما ورد في هذا الباب ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! على النساء جهاد؟ قال: «نعم. عليهن جهاد لا قتال فيه، الحج والعمرة»[4]، وهذا الحديث -وإن كان ظاهر سنده أنه جيد- إلا أن لفظه الآخر عن عائشة رضي الله عنها في البخاري ليس فيه ذكر العمرة، وهو مشهور، قالت: يا رسول الله! نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: «لكُنَّ -وفي رواية: لَكِنَّ- أفضل الجهاد حج مبرور»[5]، ولم يذكر فيه العمرة، وهذا يعكر على لفظ العمرة، خصوصاً أنها لم ترد في رواية النسائي للحديث[6]، فلعل زيادة العمرة في الحديث من قبيل الشاذ أو المعلول.

---

(١) مسلم (١٣٣٧).

(٢) البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٣) البخاري (٤٦)، ومسلم (١١).

(٤) ابن ماجة (٢٩٠١)، وأحمد (٢٥٣٢٢).

(٥) البخاري (١٥٢٠).

(٦) النسائي (٢٦٢٨).

فالأحاديث الواردة في إيجاب العمرة أو في عدم إيجابها ضعيفة، فنرجع إلى البراءة الأصلية؛ إذ الأصل براءة الذمة من إيجاب العمرة، ثم إن أعمال العمرة ليس فيها زيادة على ما في الحج، ففيها الطواف والسعي والحلق أو التقصير، وهذه هي أعمال الحج، ولذلك جاء في الحديث: «دخلت العمرة في الحج»[1]، فقد فَهِم بعضهم أنه من هذا الباب.

وعليه: فالعمرة سنة وليست واجبة.

وبعض المعتمرين يهملون أهليهم الذين استرعاهم الله إياهم، فقد يسافر الأب والأم إلى مكة للعمرة، ويتركان أولادهما - من أجل الدراسة- في بلدهم، فيقضي الوالدان نصف رمضان أو أكثر في مكة، والأولاد طوال هذه المدة بدون رقيب، وقد يكونون من الصغار الذين لا يدركون، أو من المراهقين الذين يخشى أن ينزلقوا في مزالق كبيرة - ذكورًا أو إناثًا- بسبب استفزاز شياطين الجن والإنس لهم، وكفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول!

وقد يحدث الخطأ بصورة أخرى، وهي أن كثيرًا من الناس يسافرون بأهليهم إلى مكة، ثم يعتكف الأب في الحرم، أو يقضي غالب وقته فيه، ويغفل تمامًا عن مراقبة أبنائه وبناته، تاركًا لهم الحبل على الغارب؛ فينتج عن ذلك من المساوئ ما يندى له الجبين، ومن مظاهر ذلك ما نراه في أطهر بقعة من التبرج، وتضييع الحشمة لدى بعض البنات.

حقًا.. إن اصطحاب الأبناء إلى البلد الحرام أمر طيب، فيه تربية لهم، وتمكين لهم من إدراك فضيلة الزمان والمكان، ومضاعفة الحسنات، فإذا كان الأب رجلاً حازمًا يستطيع أن يحافظ على رعيته فحبذا ذاك، وأما إن كان عاجزًا عن رعايتهم ومراقبتهم،

(١) مسلم (١٢١٨).

وضبط تصرفاتهم، فليبقَ في بيته؛ طلبًا للسلامة من الفساد والضرر البالغ، الذي قد يلحق برعيته؛ فيرجع بوزرهم بدلاً من الرجوع بالثواب المضاعف.

والبعض من أئمة المساجد، ومن المصلحين، الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، والوعاظ، والموجهين يتركون ثغورهم ويَؤمُّون مكة ليعتمروا ويقضوا العشر الأواخر هناك، ولا ريب أن من كان مرتبطًا بإمامة أو وعظ أو وظيفة يحتاج إليها المسلمون؛ فإن الأوجب في حقِّه أن يبقى على ثغره؛ فإن في ذلك من تحصيل المصالح المتعدِّية خيرًا كثيرًا، وإن أبى إلا الذهاب للعمرة فليكن ذلك في مدة وجيزة يومًا أو يومين ويعود بعدها إلى مكانه؛ فإن من غير الحسن أن تخلو المساجد وغيرها من الوعاظ والمرشدين، والأئمة المؤثرين في هذا الزمان الفاضل - وخاصة العشر الأواخر- فلينتبه الحريصون على الخير لذلك، ولينظروا إلى الأمور بميزان عادل.

تكرار العمرة:

تكرار العمرة في السفر الواحد لم ينقل عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم، إلا ما كان من أمر عائشة رضي الله عنها؛ فإنها أحرمت بحج وعمرة في نسكها، ثم لم يطب خاطرها حتى قالت: يا رسول الله! يرجع الناس بحجة وعمرة، وأرجع بحجة! وكان النبي ﷺ رجلاً سهلاً إذا هويت الشيء تابعها عليه، فقال لعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه: «اذهب بها فأعمرها من التنعيم»، فخرجت عائشة رضي الله عنها واعتمرت[1]، فتكون عائشة رضي الله عنها حينئذٍ أحرمت بعمرتين في سفر واحد، وهذا دليل على جواز إحداث أكثر من عمرة في سفر واحد، ولو لم يكن جائزاً لم يكن النبي ﷺ ليطيع عائشة رضي الله عنها، ولا ليجاملها في أمره.

ولذلك نقول: من كان حاله مثل حال عائشة رضي الله عنها، فإنه يجوز له أن يذهب وأن يحرم للعمرة من غير كراهة ولا إشكال.

---

(١) البخاري (١٥٦١)، ومسلم (١٢١١).

أما من كان بغير هذه المثابة، فإننا لا نأمره بالعمرة ولا ننهاه عنها، ولكن قال بعض السلف: إن بقاءه في مكة وطوافه بالبيت وصلاته فيه أفضل من عمرته. فبدلاً من أن يذهب ويتعب ثم يعود، قالوا: أن يطوف بالبيت أسبوعين أو ثلاثة أسابيع - أي: ثلاثة أطوفة أو أربعة- فإن هذا أفضل؛ لأن العمرة في حقيقة أمرها إنما هي طواف، وهذا لو أُخبر به كثير من الناس لاقتنعوا؛ لأن بعض الناس قد يأتي من مسافات بعيدة، ويقول: أريد أن أكرر العمرة، واحدة لي، وواحدة لأمي، وواحدة لأبي، فنقول له: العمرة حقيقتها الطواف بالبيت، فبإمكانك أن تطوف، وبدلاً من ذهابك إلى الحل وإحرامك منه، ثم رجوعك، تكون في مدة مكثك قد طفت أربعة أو خمسة أطوفة، وخصوصاً إذا لم يكن في هذا تضييق ومشقة على الناس.

وعليه: فتكرار العمرة في السفر الواحد غير مشروع، ولكن لا نثرِّب على من فعله، ولا نحجر على الناس أمراً واسعاً.

أما تكرار العمرة في أسفار متعددة فلا حرج فيه، فلو أن إنساناً سافر، ثم رجع مع أصدقائه، وبعد يومين أو ثلاثة سافر أهله إلى مكة فذهب معهم؛ لاستحب له أن يحرم بعمرة حينئذ.

زيارة قبر النبي ﷺ:

زيارة القبر ذكرها معظم الذين صنفوا في المناسك من الحنابلة وغيرهم، وهذا الكلام ذكره ابن قدامة في المغني[1]، وجماعة من المصنفين، وكذلك فقهاء المالكية والشافعية؛ بل إن ابن قدامة ذكر في ذلك القصة المشهورة عن العتبي في قصة الذي جاء إلى النبي ﷺ ووقف عند القبر وقال:

يا خير من دفنت في الترب أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم

(١) المغني (١/ ٥٢١).

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

إلى آخر ما ذكر، وأيضاً هذه القصة ذكرها ابن كثير في تفسيره[1]، واستغرب الكثيرون هذه القصة وإيرادها، وعلى كل حال فإن زيارة قبر النبي ﷺ لمن كان مقيماً في المدينة أو كان آتياً إليها مشروعة، كما هي زيارة قبور الناس كلهم؛ لقوله ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»[2]، وقبر النبي ﷺ على وجه الخصوص، وكان ابن عمر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم يأتون ويقولون: السلام عليك يا رسول الله! السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا عمر[3]؛ لكن شد الرحل لزيارة القبر ذكره معظم المصنفين في المناسك الفقهاء، وقد استنكره الإمام ابن تيمية رحمه الله وصنف فيه مصنفاً، وثارت فيه قضية في عهده مشهورة، وصارت فيه مقالات بينه وبين السبكي وغيرهم.

ابن تيمية رحمه الله يقول: إن الأحاديث الواردة في الباب كلها موضوعة، مثل: «من حج ولم يزرني فقد جفاني»[4]، وغير ذلك من الأحاديث، ويقول: إنها ليست واجبة بإجماع المسلمين، يقول ابن تيمية رحمه الله: «والذي عليه الأئمة وأكثر العلماء أنه غير مشروع ولا مأمور به»، وقد أطال النفس في هذه المسألة في المصنفات المعروفة التي يمكن الرجوع إليها.

لكن نقول: إن شد الرحل يستحب أن يكون لزيارة المسجد النبوي؛ لأن النبي ﷺ ذكر فيه الفضيلة، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٩١).

(٢) مسلم (٩٧٧).

(٣) مالك في الموطأ (٤٠٦).

(٤) انظر تلخيص الحبير (٢/ ٢٦٧)، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ١١٨).

الأقصى»[1]، فهذا دليل على عدم مشروعية شد الرحال إلى بقاع أخرى بنية التعبد لله عز وجل.

الإحرام:

الإحرام هو نية الدخول في النسك، وليس الإحرام كما يظنه كثير من العامة لبس ثياب الإحرام أو التلبية، وإن كانت هذه الأشياء من الإحرام، فلو لم يلبس ثياب الإحرام ونوى الدخول في النسك فهو مُحرم، ولو لم يلبّ ونوى الدخول في النسك فهو مُحرم، ونقول: نية الدخول في النسك حقيقة أو حكماً حتى يدخل في التعريف الصبيُّ وما شابهه، فإن الصبي ليس عنده نية متميزة ولا إدراك، ولكنه يعد محرماً باعتبار ما يفعله به والداه، فهو من حيث الحكم محرم، وإن كان من حيث الحقيقة لم ينوِ شيئاً من ذلك.

وليس للإحرام صلاة تخصُّه، بمعنى: أنه لا يشرع أن ينشئ ركعتين للإحرام والتي يسميها البعض: ركعتي الإحرام، فهذا ليس له دليل من السنة النبوية، وإنما نقول: يصلي فريضة، أو يصلي ركعتين للوضوء، أو يصلي تحية المسجد ثم يحرم عقبها، ولكن لو لم يوجد من ذلك شيء فإنه لا يستحب أن ينشئ صلاة من أجل الإحرام؛ لأن هذا لم يرد عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ فصلاة المحرم ركعتين من أجل الإحرام لا أصل لها، أما أن يحرم عقب صلاة فهذا ثابت بنصٍ عن النبي ﷺ من قوله، وثابت من فعله وفعل أصحابه رضي الله عنهم، وهذه الصلاة التي يذكرها بعضهم ليست من ذوات الأسباب، فلا تفعل في وقت النهي إلا أن تكون تحية مسجد، أو صلاة سنة وضوء، أو ما أشبه ذلك.

---

(١) البخاري (١١٣٢)، ومسلم (١٣٩٧).

التلفظ بالنية:

التلفظ بالنية ليس له أصل في جميع العبادات، والظاهر أن الحج والعمرة كذلك، فلا يستحب له أن ينطق بالنية من حيث كونها نية، فلا يقول: اللهم إني أنوي حجاً، أو أنوي عمرة، أو أنوي تمتعاً، أو قراناً، أو ما أشبه ذلك، فهذا غير مشروع، ولا دليل على استحبابه والنطق به، وإنما المستحب هو أن يلبي الإنسان بما أحرم به، كما فعل النبي ﷺ كما في حديث عائشة رضي الله عنها[1]، فيقول: لبيك حجاً، أو لبيك عمرة، أو لبيك عمرة وحجاً، وهذا غير النية؛ فإن النية تسبقه وتكون في القلب، فلو نوى بقلبه ولم يقل بلسانه شيئاً فلا يضره ذلك بالإجماع؛ لكن لو قالها دون أن يكون ناوياً لمعناها فإن هذا لا ينفعه. فالنية إذاً محلها القلب، وما يقوله بلسانه ليس هو تعبيراً عن هذه النية ولا هو تلفُّظاً بها، وإنما يقول ما قاله النبي ﷺ على سبيل التواضع لله تعالى والتعبد له: لبيك عمرة، أو لبيك حجاً، وقد يقول ذلك ليُعلِّم من حوله، ويرشدهم إلى نوع الإحرام.

التنظف للمحرم:

والمقصود بالتنظف: هو إزالة الشعث، وقطع الرائحة، وحلق الشعر، وتقليم الأظفار، ونتف الآباط، ونحو ذلك، وهذا الأمر قال بعض الفقهاء: إنه مستحب، وحجتهم على ذلك أنه غسل مستحب كغسل الجمعة وغيره، فاستحب له قطع التفث، وإزالة المادة الخبيثة من البدن.

ولكن الصواب في ذلك: أنه لا دليل على هذا، وأن هذا لا يختص بالإحرام؛ بل من وجد منه تلك الريح الخبيثة أو طول الأظفار أو نحوها؛ فإنه يستحب له إزالته في كل وقت، فإن صادف وقت إحرامه أن كان في أظفاره طول، أو لم يتعهد آباطه أو شعره -المستحب إزالته- استحب له ذلك، وإن كان الأمر غير هذا فإنه لا يستحب عمل ذلك بمناسبة فعل الإحرام؛ لأنه لا دليل على هذا.

---

(١) البخاري (١٥٦٥)، ومسلم (١٢١١).

الطيب للمحرم:

قول الجمهور من الصحابة والتابعين -وهو الصحيح- أنه يكون في البدن والشعر، حتى أن ابن الزبير رضي الله عنه يقول عنه مسلم بن صبيح: «رأيت عبد الله بن الزبير وفي رأسه ولحيته من الطيب وهو محرم ما لو كان لرجل لا تخذ منه رأس مال»[1]، يعني من كثرة هذا الطيب وغلاء ثمنه.

فالطيب في البدن واضح، ولكن الطيب في ثياب الإحرام قبل أن يحرم فيه خلاف مشهور:

فمنهم من قال بمنعه، وهو موافق لمذهب المالكية، وحجة القائلين بالمنع هو حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه في قصة الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ وهو في خيمة له أو قبة، فسأله: ما ترى في رجل أحرم في جبة وهو متضمخ بالخلوق؟ فقال له النبي ﷺ: «اخلع عنك الجبة، واغسل أثر الخلوق عنك، وَأَنْقِ الصفرة، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجك»[2]، والحديث دلالته ظاهرة على ما قالوه.

ويجاب عن هذا الحديث بأجوبة، منها:

أن هذا الحديث كان في الجعرانة، وحديث عائشة رضي الله عنها في حجة الوداع بعده بسنتين، والمتأخر يحكم على المتقدم، وعلى فرض وجود التعارض فإن الآخر ينسخ الأول.

الوجه الثاني: أن يقال: إن هذا الرجل قد يكون وضع الطيب على ثيابه بعد الإحرام، ولا شك أن من وضع الطيب على ثيابه بعد الإحرام فإنه يجب عليه إزالته وغسل ثيابه، أما لو تطيب بثيابه قبل الإحرام فإنه لا يضر استدامته، ويجوز فيه

(١) ابن أبي شيبة (١٣٤٨٨).

(٢) البخاري (١٧٨٩)، ومسلم (١١٨٠).

استمراراً ما لا يجوز ابتداءً، ولو خلع ثياب الإحرام ثم لبسها والطيب فيها فإن هذا لا يضره أيضاً، ومن المعلوم أن الطيب الذي على البدن لا بد أن يصيب الثياب.

وهذا هو القول الراجح: أن الطيب جائز في البدن، وجائز في الثياب قبل الإحرام.

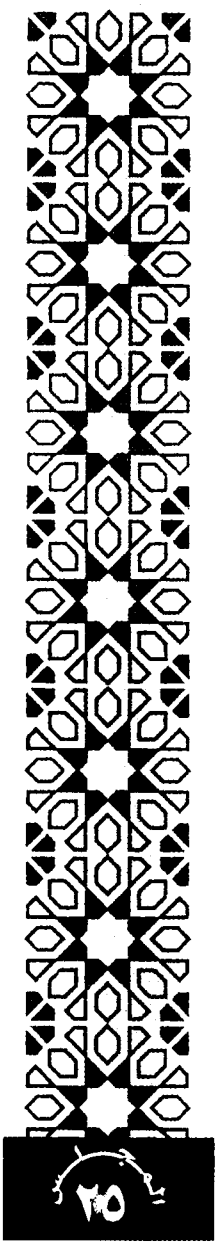

شهر الحلم

٢٥

» قال صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الأناة، والحلم»

في رمضان تتجلى آثار العبادة على الصائم، من خلق حسن، وبر، وتواضع، وإحسان، ولين، ورحمة، وغير ذلك، وهو مطالب بذلك في رمضان وغير رمضان، وفي الصحيح: «الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين»[1].

ومن أفضل ما يتحلى به الصائم في رمضان وغيره: خلق الحلم، وما أحوجنا لهذا الخلق في كثير من المواقف، خاصة في هذا العصر الذي تتلاحق فيه الأحداث، وتتكاثر فيه الفتن، حتى تدع الحليم حيراناً!

وأصل مادة الحلم اللغوية تدل على ترك العجلة في كل شيء.

والحلم: هو الطمأنينة عند سورة الغضب، وتأخير مكافأة الظالم على ظلمه، وإذا كان الغضب هو غليان دم القلب للانتقام؛ فالحلم على الضد من ذلك، ففيه معنى احتمال الأذى من الأدنى، وضبط النفس، والأناة والتعقُّل.

والحلم خلق يتوسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس، والانحراف عنه وعدم التخلق به ينجرف بصاحبه إلى أحد خلقين: إما إلى طيش ونزق وحدة وخفة، وإما إلى ذل ومهانة وحقارة.

والعدل والوسط هو من سمات هذه الأمة، فبعض الحلم إذعان، كما أن استعماله

(١) البخاري (١٧٩٥).

في بعض الحالات لب العقل.

لَئِن كُنتُ مُحتاجاً إِلى الحِلمِ إِنَّني ... إِلى الجَهلِ في بَعضِ الأَحايِينِ أَحوَجُ
وَلي فَرَسٌ لِلحِلمِ بِالحِلمِ مُلجَمٌ ... وَلي فَرَسٌ لِلجَهلِ بِالجَهلِ مُسرَجُ
فَمَن شاءَ تَقويمي فَإِنّي مُقَوَّمٌ ... وَمن شاءَ تَعويجي فَإِنّي مُعَوَّجُ
وَما كُنتُ أَرضى الجَهلَ خَدناً وَصاحِباً ... وَلَكِنَّني أَرضى بِهِ حينَ أُحرَجُ
أَلا رُبَّما ضاقَ الفَضاءُ بِأَهلِهِ ... وَأَمكَنَ مِن بَينِ الأَسِنَّةِ مَخرَجُ
فَإِن قالَ قَومٌ: إِنَّ فيهِ سَماجَةً ... فَقَد صَدَقوا وَالذُّلُّ بِالحُرِّ أَسمَجُ

والناس مجبولون على الغضب والحلم معاً، فمن غضب وحلم في نفس الغضب فإن ذلك ليس بمذموم، ما لم يخرجه غضبه إلى المكروه من القول والفعل، على أن مفارقته في الأحوال كلها أحمد.

وقيل: إذا لم يغضب الرجل لم يحلم؛ لأن الحليم لا يُعرف إلا عند الغضب.

وما أحسن توطين النفس على لزوم الحلم والعفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة؛ إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشد من الاستعمال لمثلها.

وأغنى الناس عن الحقد من عظم عن المجازاة، وأجل الناس مرتبة من صد الجهل بالحلم، وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء إليه، فأما مجازاة الإحسان إحساناً فهو المساواة في الأخلاق.

فالمسلم يلزم الحلم عن الناس كافة، فإن صعب ذلك عليه فليتحالم؛ لأنه يرتقي به إلى درجة الحلم، وأول الحلم: المعرفة، ثم التثبُّت، ثم العزم، ثم التصبر، ثم الصبر، ثم الرضا، ثم الصمت والإغضاء، وما الفضل إلا للمحسن إلى المسيء، فأما من أحسن إلى المحسن وحلم عمن لم يؤذه فليس ذلك بحلم ولا إحسان.

وثمة فرق بين حلم الذل والعجز والمهانة، وبين حلم الاقتدار والعزة والشرف..

كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ حُجَّةٌ لاجِئٌ إِلَيْهَا اللِئَامُ

والحلم كغيره من الأخلاق، إما يجبل عليه الإنسان، أو يتخلق به حتى يصير ملكة وسجية.

ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة»[1]، وفي رواية لأبي داود: قال: يا رسول الله! أنا أَتَخَلَّقُ بِهِما أم الله جبلني عليهما؟ قال: «بل الله جبلك عليهما»، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يُحِبُّهُمَا الله ورسوله[2].

وفي الأثر: «إنما العلم بالتعلم، و إنما الحلم بالتحلم، و من يتحرَّ الخير يُعطَهْ، ومن يتق الشرَّ يوقَهْ»[3].

وقال الأحنف بن قيس ﷺ: «لست بحليم ولكنني أتحالم»[4].

ومن أسمائه ﷻ: الحليم؛ يرى معصية عباده ومخالفتهم لأمره ثم يمهلهم، ولا يسارع في عقوبتهم، مع اقتداره واستحقاقهم لها: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل:٦١].

ومن شرف اسم الحلم وارتفاع قدره أن الله جل وعلا تسمى به: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٥].. ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٣]، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [النساء:١٢].

---

(١) مسلم (١٧).

(٢) أبو داود (٥٢٢٥).

(٣) الخطيب في تاريخه (٩/ ١٢٧) وغيره، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (ح٣٤٢)

(٤) ابن أبي شيبة (٢٥٦٢٥).

ثم لم يسم بالحلم في كتابه أحداً إلا إبراهيم خليله وابنه الذبيح فقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٤]، وقال: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات:١٠١].

ومن تأمل سيرة النبي ﷺ العطرة النيِّرة أدرك أنه سيد أهل الحلم والفضل والوقار؛ فهو الذي قال: «ليس الشديد بالصُّرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[١].

وكانوا يعتقدون أن القوي الفاضل هو القوي الذي لا يصرعه الرجال؛ بل يصرعهم، وليس هو كذلك شرعاً؛ بل هو من يملك نفسه عند الغضب، فهذا هو الممدُوح الذي قلَّ من يقدر على التخلق بخلقه، ومشاركته في فضيلته.

وعندما جاءه رجل وقال له: أوصني. قال: «لا تغضب». فردد مرارًا قال «لا تغضب»[٢].

وهذه الكلمة من جوامع كلمه، وهي أصل في التربية على حسن الخلق، وضبط النفس، وتقييد هواها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ، فهَمَّ به أصحابُه، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً»، ثم قال: «أعطوه سناً مثل سنه». قالوا: يا رسول الله! لا نجد إلا أمثل من سنه، فقال: «أعطوه، فإن من خيركم أحسنكم قضاءً»[٣].

وفي البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء ضربه قومُه فأدمَوه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر

(١) البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٢) البخاري (٥٧٦٥).

(٣) البخاري (٢١٨٣)، ومسلم (١٦٠١).

لقومي فإنهم لا يعلمون»[1].

وما أعظم خلق هذا النبي وحلمه على من جهل عليه، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: «كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء»[2].

بل اسمع إلى ما ترويه عنه أم المؤمنين عائشة ﷺ أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يومٌ أشدُّ من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد يَالِيل بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[3].

وليس حلمه على قومه فقط، ففي الصحيحين عن عائشة ﷺ زوج النبي ﷺ قالت: «دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليكم. قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «مهلا

(١) البخاري (٣٢٩٠)، ومسلم (١٧٩٢).

(٢) البخاري (٢٩٨٠).

(٣) البخاري (٣٠٥٩)، ومسلم (١٧٩٥).

يا عائشة! إن الله يحب الرفق في الأمر كله». فقلت: يا رسول الله! أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «قد قلت: وعليكم»[1].

ولقد تجلى الحلم في أسمى صوره في الجيل الفريد الأول جيل الصحابة، في أقوالهم وأفعالهم، وفيمن جاء بعدهم من التابعين، وهذه صفحة مشرقة من صفحاتهم:

قال عمر رضي الله عنه: «كان أبو بكر رضي الله عنه -يوم السقيفة - أحلم منِّي وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلاَّ قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت»[2].

وجاء رجل يسبُّ ابن عباس رضي الله عنهما، فقال ابن عباس لمولاه عكرمة: «يا عكرمة! هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكَّس الرجل رأسه، واستحى مما رأى من حلمه».

وعن ابن عمر أنه كان يقول: إنا معشر قريش كنا نعد الجود والحلم: السؤدد؛ وتعد العفاف وإصلاح المال: المروءة.

وبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله؛ فأمرهم أن يوافوه، فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس! أيتها الرعية! إن لنا عليكم حقاً: النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير. أيتها الرعاة! إن للرعية عليكم حقاً، فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه، وليس جهل أبغض إلى الله ولا أغم من جهل إمام وخرقه»[3].

وقال رضي الله عنه: «تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم».

---

(١) البخاري (٥٦٧٨).

(٢) البخاري (٦٤٤٢).

(٣) الزهد لهناد (٢/ ٦٠٢).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى».

وقال أيضاً: «إن أول ما عوض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حكيماً حليماً سكيناً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صخاباً ولا صياحاً ولا حديداً».

وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمُه جهلَه، وصبرُه شهوتَه، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم».

وسئل عمرو بن الأهتم: أي الرجال أشجع؟ قال: من رد جهله بحلمه، قال فأي الرجال أسخى؟ قال: من بذل دنياه لصالح دينه.

وقيل لعرابة بن أوس: بم سُدتَّ قومَك يا عرابة؟ قال: كنت أحلم عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حوائجهم، فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل، ومن قصر عني فأنا خير منه.

وقال: عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال.

وأسمعه رجل كلاماً شديداً، فقيل له: لو عاقبته، فقال: إني أستحي أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي.

و قال طاووس رحمه الله: «ما حمل العلم في مثل جراب حلم».

و قال وهب بن منبه رحمه الله: «الرفق ثني الحلم».

وعن الحسن البصري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣] «حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا».

وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما: أن رجلاً سبه، فرمى إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم؛ فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة: الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعده عن الله عز وجل، وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى المدح بعد الذم، اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير.

وقال أكثم بن صيفي رحمه الله: «دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر».

وقال عطاء رحمه الله: «ما أوى شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم».

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «خمس إذا أخطأ القاضي منهن خطة كانت فيه وصمة: أن يكون فهيماً، حليماً، عفيفاً، صليباً، عالماً، سئولاً عن العلم».

وقال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله: «كان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من كانت فيه ستُّ خصال، وتمامها في الإسلام سابعة: السخاء، والنجدة، والصبر، والحلم، والبيان، والحسب، وفي الإسلام زيادة العفاف».

وقال بعضهم: «ليس الحليم من ظلم فحلم، حتى إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر عفا»[1].

أسباب باعثة على ضبط النفس:

أحدها: الرحمة للجهال وذلك من خير يوافق رقة. قال أبو الدرداء رضي الله عنه لرجل أسمعه كلاماً: يا هذا! لا تغرقن في سبِّنا، ودع للصلح موضعاً، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله عز وجل فيه.

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١٧٨-١٨٤) بتصرف.

وشتم رجل الشعبي فقال: «إن كنتُ كما قلتَ فغفر الله لي، وإن لم أكن كما قلتَ فغفر الله لك».

الثاني: القدرة على الانتصار، وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة، وقد قيل: ليس من الكرم عقوبة من لا يجد امتناعاً من السطوة. وأحسن المكارم عفو المقتدر، وجود المفتقر.

الثالث: الترفع عن السباب، وذلك من شرف النفس وعلو الهمة..

لا يبلغ المجدَ أقوامٌ وإن كرموا ... حتى يَذِلُّوا وإن عزُّوا لأقوام
ويُشتَموا فترى الألوان مسفرة ... لا صفحَ ذلٍّ ولكن صفحُ أحلام

الرابع: الاستهانة بالمسيء؛ يروى أن رجلاً أكثر من سب الأحنف وهو لا يجيبه، فقال: «والله ما منعه من جوابي إلا هواني عليه».

وأسمعَ رجلٌ ابنَ هبيرة كلاماً بذيئاً فأعرض عنه، فقال له الرجل: إياك أعني. فقال له: وعنك أعرض.

الخامس: الاستحياء من جزاء الجواب، وهذا يكون من صيانة النفس، وكمال المروءة، وقد قيل: احتمال السفيه خير من التحلي بصورته، والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته.

وقال لقيط بن زرارة:

وقل لبني سعد فما لي وما لكم ... ترقون مني ما استطعتم وأعتقُ
أغرَّكمُ أني بأحسنِ شيمةٍ ... بصيرٌ وأني بالفواحش أخرقُ
وإن تك قد فاحشتني فقهرتني ... هنيئاً مريئاً أنت بالفُحْش أحذقُ

السادس: التفضل على السبّاب؛ فهذا يكون من الكرم وحب التآلف، وقد حكي عن الأحنف بن قيس أنه قال: ما عاداني أحد قط إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث

خصال: إن كان أعلى مني عرفت له قدره، وإن كان دوني رفعت قدري عنه، وإن كان نظيري تفضلت عليه.

السابع: استنكاف السباب وقطع السباب، وهذا يكون من الحزم، كما حكي أن رجلاً قال لضرار بن القعقاع: والله لو قلت واحدة لسمعت عشراً. فقال له ضرار: والله لو قلتَ عشراً لم تسمع واحدة. وقال الشعبي: «ما أدركت أمي فأبرها، ولكن لا أسب أحداً فيسبها».

الثامن: الخوف من العقوبة على الجواب، وهذا يكون من ضعف النفس، وربما أوجبه الرأي واقتضاه الحزم.

التاسع: الرعاية ليد سالفة، وحرمة لازمة، وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد، وقد قيل في منثور الحكم: أكرم الشيم أرعاها للذمم.

قال بعض الشعراء:

ولَلْكفُّ عن شتم اللئيم تكرماً ... أضرُّ له من شتمه حين يشتِمُ

ولو لم يكن في الحلم خصلة تحمد إلا ترك اكتساب المعاصي، والدخول في المواضع الدنسة؛ لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق الحلم ما وجد إلى استعماله سبيلاً؛ فهو صفة تكسب المرء محبة الله ورضوانه، ودليل كمال العقل وسعة الصدر، وامتلاك النفس، وفيه إعانة الناس لصاحبه، ووقوفهم في صفِّه، وهو صفة من صفات الله سبحانه، وهي من صفات أوليائه، والحلم فيه تآلف القلوب ونشر المحبة بين الناس.

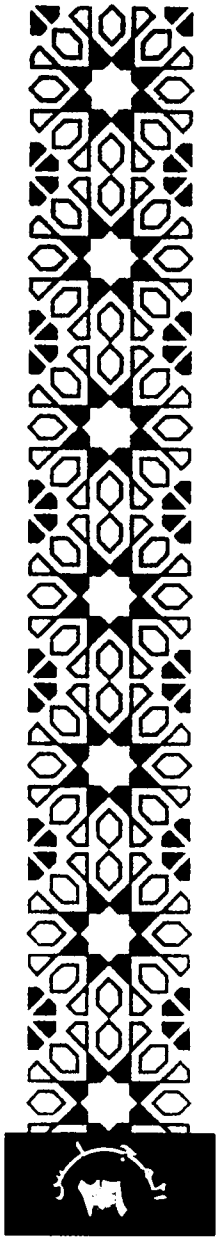

صيام التطوع

» "وما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه"

جدير بالمسلم أن يكون له حظٌّ من صيامٍ قَلَّ أو كَثر:

وَصُمْ يومَك الأَدْنى لَعَلَّك في غدٍ تفوز بعيدِ الفطر والناسُ صُوَّمُ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبُّ إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه»(١).

هذا حديث جليل، فيه أن من سعى في نوافل العبادات تقرُّبًا إلى الله أحبَّه الله، وقرَّبه منه، ووفَّقه في سمعه وبصره، وكان الله معه، يجيبُ دعاءه، ويعيذُه مما يخاف ويحذر، وكفى بالله حسيبًا.

والصيام من أحب الأعمال إلى الله عز وجل، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به؛ يدع شهوته وطعامه من أجلي»(٢).

فمن صام يوماً تطوعاً حاز الدرجات العُلى، وأحبَّه الرحمن، والاستمرار على ذلك جالب للأجر الجزيل، والتوفيق العظيم.

---

(١) البخاري (٦١٣٧).

(٢) مسلم (١١٥١).

صيام شهر الله المحرم:

قال رسول الله ﷺ: «أفضلُ الصلاة بعد المكتوبة: الصلاةُ في جوف الليل، وأفضلُ الصيام بعد شهر رمضان: شهر الله المحرم»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «أفضلُ الصيام بعد رمضان: الشهر الذي تَدعُونَه المحرَّم»[2].

صوم شعبان:

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن النبي ﷺ يصوم شهراً أكثر من شعبان، وكان يصوم شعبان كله»[3]، ومقصودها بكله أي: أكثره -والله أعلم- كما في الروايات الأخرى: «كان يصوم شعبان إلا قليلاً»[4].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله! لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»[5].

صيام ستة أيام من شوال:

قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»[6].

---

(١) مسلم (١١٦٣).

(٢) ابن ماجة (١٧٤٢)، وصححه الألباني.

(٣) البخاري (١٨٦٩)، ومسلم (١١٥٦).

(٤) مسلم (١١٥٦).

(٥) أحمد (٢٣٥٧)، والنسائي (٢٣٥٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٧١١).

(٦) مسلم (١١٦٤).

صوم عشر ذي الحجة:

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما من أيامٍ العملُ الصالح فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيام -يعني أيام العشر- قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء»[1].

وقال ﷺ: «صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده»[2].

صوم يوم عاشوراء:

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما رأيت النبي ﷺ يتحرَّى صيامَ يومٍ فضَّله على غيره إلا هذا اليوم -أي يوم عاشوراء- وهذا الشهر، يعني رمضان»[3]، وقال ﷺ: «صيام عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله»[4].

صوم أيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة، وخمس عشرة:

قال رسول الله ﷺ: «إذا صمت من الشهر ثلاثاً فصم: ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة»[5].

---

(١) أبو داود (٢٤٣٨)، والترمذي (٧٥٧)، وابن ماجة (١٧٢٧)، وأحمد (١٩٦٨)، وصححه الألباني.

(٢) مسلم (١١٦٢)، والترمذي (٧٤٩)، وابن ماجة (١٧٣٠).

(٣) البخاري (١٩٠٢).

(٤) مسلم (١١٦٢).

(٥) أحمد(٢١٤٧٤)، والترمذي (٧٦١)، والنسائي(٢٤٢٤)، وابن خزيمة (٢١٢٨)، وابن حبان (٣٦٥٥)، عن أبي ذر رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٣).

صيام الإثنين والخميس:

عن أبي قتادة الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ سُئل عن صوم الإثنين فقال: «فيه ولدتُ، وفيه أُنزل عليّ»[1].

وعن حفصة ﷺ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه جعل كفَّه اليمنى تحت خدِّه الأيمن، وكان يصوم الإثنين والخميس»[2].

وعن عائشة ﷺ: «أن النبي ﷺ كان يتحرَّى صيام الإثنين والخميس»[3].

وعن أبي هريرة ﷺ: «أن النبي ﷺ كان يصوم الإثنين والخميس»[4].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: «كان أكثر ما يصوم الإثنين والخميس، فقيل له فقال: الأعمال تعرض كل إثنين وخميس، فيغفر الله لكل مسلم أو لكل مؤمن إلا المتهاجرين، فيقول: أخِّروهما»[5].

صوم يوم وإفطار يوم (صوم داود عليه السلام):

قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الصيام إلى الله صيامُ داود، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحبُّ الصلاة إلى الله صلاةُ داود، وكان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثَه، وينام سدسَه»[6].

---

(١) مسلم(١١٦٢).

(٢) النسائي (٢٣٦٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٤٩٨).

(٣) الترمذي (٧٤٥)، والنسائي (٢٣٦٠)، وصححه ابن حبان (٣٦٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٩٧).

(٤) ابن ماجة (١٧٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٧٠).

(٥) رواه أحمد (٨٣٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٠٤).

(٦) البخاري (١٠٧٩)، ومسلم (١١٥٩)، من حديث عبدالله بن عمرو ﷺ.

الأيام المنهي عن صيامها:

١- يوم الفطر، ويوم الأضحى:

قال النبي ﷺ: «لا يصلح الصيامُ في يومين: يوم الأضحى، ويومُ الفطر في رمضان»[١].

٢- إفراد يوم الجمعة:

عن محمد بن عباد بن جعفر: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وهو يطوف بالبيت: «نهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة؟ فقال: نعم ورب هذا البيت، وزاد البخاري: يعني أن ينفرد بصومه»[٢].

٣- صوم يوم السبت:

قال النبي ﷺ: «لا تصوموا يوم السبت إلا في فريضة، وإن لم يجد أحدكم إلا عود كرم أو لحاء شجرة فليفطر عليه»[٣]، وقد أعلَّه جمع من الأئمة؛ بل قال مالك: هذا كذب. ووصفه النسائي بالإضراب، وقال أبو داود: هو منسوخ. وعلى القول بثبوته وهو ضعيف فيكون المقصود ما ذكره النووي رحمه الله من أن المراد تعمد صيامه منفرداً.

٤- يوم الشك:

عن صلة قال: كنا عند عمار فأتى بشاة مصلية، فقال: كلوا، فتنحى بعض القوم، قال إني صائم، فقال عمار: «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم ﷺ»[٤].

---

(١) البخاري (١١٣٩)، ومسلم (٨٢٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) البخاري (١٨٨٣)، ومسلم (١١٤٣) واللفظ له.

(٣) أحمد (١٧٧٢٦)، والترمذي (٧٤٤)، وابن ماجة (١٧٢٦). قال النووي في المجموع (٦/ ٤٨١-٤٨٢): "يكره إفراد يوم السبت بالصوم، فإن صام قبله أو بعده لم يكره، صرح بكراهة إفراده أصحابنا. منهم الدارمي".

(٤) أبو داود (٢٣٣٤)، والترمذي (٦٨٦)، والنسائي (٢١٨٨)، وابن ماجة (١٦٤٥)، وابن حبان (٣٥٨٥)، وصححه الألباني.

٥- صيام الدهر:

قال ﷺ: «لا صام من صام الأبد»[١].

وقال ﷺ: «لا صام من صام الدهر، صوم ثلاثة أيام صوم الدهر كله»[٢].

(١) البخاري (١٨٧٦)، ومسلم (١١٥٩)، من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) البخاري (١٨٧٨). من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما.

صدقة الفطر

» عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر.

ولها أسماء، منها: زكاة الفطر، وصدقة الفطر، وزكاة البدن، أو زكاة الرأس، أو زكاة الرقبة، أي: زكاة الإنسان، فهي لا تتعلق بالمال؛ ولذلك كان من أسمائها: زكاة البدن.

وسميت الفِطرة؛ لأنها تؤدَّى بعد الفطر من رمضان، أو نسبة إلى الفطرة، قال الله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:٣٠].

الحكمة من مشروعية زكاة الفطر:

أولاً: أنها طُهرة للصائم من اللغو والرفث؛ وذلك لأن الصائم لا يخلو أن يقع في صيامه نقص بوجه من الوجوه، ولو أن يلغو في الكلام أو يرفث، أو يقع في غيبة أو فضول كلام أو فضول نظر، أو غير ذلك من المعاصي التي لا تفسد الصيام، ولكنها تنقص أجره وتضعفه.

ثانياً: أنها طعمة للمساكين؛ لأنها تخرج في ليلة العيد ويوم العيد، وهو يوم فرح وسرور واغتباط، وتوسع في المأكل والمشرب والملبس. ففي إخراج صدقة الفطر في ذلك اليوم إشعار للمساكين والفقراء بانتمائهم لذلك المجتمع، وإطعام لهم ومشاركتهم في سرور يوم العيد وفرحه؛ لئلا يأتي عليهم العيد وهم جياع يشعرون بالانقباض، وربما بالحسد لمن يتمتع بالنعيم، ويحرمهم من قوتهم أو ضرورة حياتهم؛ ولهذا ذهب جمع من الفقهاء إلى أن صدقة الفطر تُقصر على الفقراء والمساكين، ولا

تصرف لغيرهم من الأصناف الثمانية، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

ثالثاً: أن في صدقة الفطر تعويدًا لأفراد المجتمع على المشاركة والعطاء؛ ولذا كانت الصدقة متعلقة بالإنسان، ولو لم يكن غنياً فإنه يتصدق.

حكمها:

ذكر ابن المنذر: إجماع الفقهاء على وجوب صدقة الفطر، ونص البيهقي عند الحديث على إجماع الفقهاء على وجوبها، وقال إسحاق بن راهويه: هو كالإجماع.

وذلك لأدلة منها:

أولاً: قول الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝ ﴾ [الأعلى:١٤-١٥]، وقد فسر ابن عمر رضي الله عنهما هذه الآية بزكاة الفطر.

ثانياً: عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على كل حر أو عبدٍ، ذكر أو أنثى من المسلمين»[1]، والفرض صريح في الإيجاب والإلزام.

شروط وجوب صدقة الفطر:

الأول: الإسلام، فلا تجب على الكافر من حيث العقل والنقل.

الثاني: الحرية، وهذا عند الأكثرين خلافاً للحنابلة، ورواية عند الشافعية وغيرهم، فيقولون بوجوبها على سيده من ماله فيخرجها عن العبد.

الثالث: القدرة، ولا يشترط فيها أن يملك نصاباً؛ بل يكفي أن يكون عنده فضلٌ

(١) البخاري (١٤٣٣)، ومسلم (٩٨٤).

عن قوته وقوت من يمونه يوم العيد وليلته؛ لأنَّ صدقة الفطر صدقة عن البدن، ليس لها تعلق بالمال، ولا يلزم لها الغنى.

ما يجب إخراجه:

الواجب صاع عند كافة الفقهاء، ومقدار الصاع: أربعة أمداد، والمد يساوي حفنة بيدي الإنسان المتوسط المعتدل، ومقدار الصاع بالغرامات يساوي ألفين ومائة وستين جراماً، أو ألفين ومائة وست وسبعين جراماً تقريباً (٢١٦٠-٢١٧٦جرام) أي: ما يعادل كيلوين ومائة وستة وسبعين جراماً.

الأصناف التي تخرج منها:

ثبت من حديث ابن عمر ﷺ قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على كل حر أو عبدٍ، ذكر أو أنثى من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة»[1].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من أقط، أو صاعاً من زبيب»[2].

هذا هو المنصوص عليه، وجمهور العلماء من الصحابة ﷺ والتابعين على أنه لا يلزم الاقتصار على هذه الأصناف، فيجوز أن تُخرج من غالب قوت البلد؛ كالأرز وغيره.

إخراج القيمة:

الجمهور على أنه لا يجزئ، وهذا مذهب الأئمة مالك والشافعي وأحمد، ولما سئل الإمام أحمد عن إخراج المال قال: أخاف أن لا يجزئه، فقالوا: إن الخليفة عمر بن عبد

---

(١) البخاري (١٤٣٢).

(٢) البخاري (١٤٣٥).

العزيز يرى إخراج المال؟ فقال: اتباع السنة أولى، نقول: قال رسول الله ﷺ ويقولون: قال فلان!

وأبو حنيفة يذهب إلى جواز إخراج القيمة في صدقة الفطر.

وهذا القول ثابت عن: عمر بن عبد العزيز، وجاء عن الحسن البصري أنه قال: لا بأس أن تُعطى الدراهم في صدقة الفطر[1]، وقال أبو إسحاق السبيعي: أدركتهم وهم يعطون في صدقة رمضان الدراهم بقيمة الطعام[2].

وهذا مذهب الثوري وعطاء؛ فإن عطاءً كان يعطي في صدقة الفطر الورِق، أي: الفضة، وهؤلاء من سادة التابعين.

وممن قوى هذا الأمر ونصره من المتأخرين الشيخ مصطفى الزرقا[3].

ومن الأوجه التي يتعزز بها هذا القول ما يلي:

الوجه الأول: أن كثيراً من الفقهاء يرون أنه يخرج من قوت البلد غير المنصوص في حديث أبي سعيد وحديث ابن عمر رضي الله عنهما، فإذا تغير القوت جاز أن يُخرج من القوت الموجود كالأرز أو القمح، أو أي قوت ينتشر في بلد من البلدان، وإذا جاز إخراجها من قوت البلد حتى ولو لم يكن منصوصاً ولا وارداً في السنة، فمن باب أولى أن تُخرج من الدراهم؛ لأنها قد تكون أفضل من القوت لكثير من الناس، وهذا منهم مصير إلى القيمة والتقييم؛ لأنهم قوّموا ما كان قوتاً في زمن النبي ﷺ وأخرجوا بدله.

---

(١) ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٣٧٠، ١٠٣٦٨).

(٢) ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٣٧١).

(٣) انظر كتاب (العقل والفقه في فهم الحديث النبوي) للزرقا، وقد طبع في فتاويه بعد وفاته.

الوجه الثاني: أن الأمر في هذه الأشياء ليس تعبدياً محضاً لا يجوز الخروج عنه إلى غيره، وإنما هو أمر مصلحي واضح، أي: أن المقصود من صدقة الفطر منفعة المسلمين، ومنفعة الآخذ والباذل أيضاً، ولا شك أن منفعة الآخذ أولى، وإخراج القيمة - خصوصاً إذا طابت بها نفس المعطي ونفس الآخذ وأنه أحب إليهما معاً - يحقق مقصد الشرع في التوسعة على الناس، وفي تطهيرهم، وفيما فيه تحقيق مصالحهم، وليس فيه ما يعارض نصاً ظاهراً.

الوجه الثالث: أن الفقهاء اختلفوا في إخراج زكاة المال من العروض أو إخراجها من المال، وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال:

الأول: أنه يجوز إخراج زكاة العروض من نفس المال.

الثاني: أنه يخرجها نقداً ولا بد.

الثالث: أنه يجب عليه إخراجها من المال.

فالقول الأول فيه تخيير بين النقد وبين إخراجها من نفس المال، والأفضل هو الأحظّ للفقراء، فلو علم أن الفقير سوف يشتري بهذا المال عروضاً؛ كان الأفضل أن يعطيه عروضاً حتى يوفر عليه القيمة وتعب الشراء، وإن علم أنه متى أعطى الفقير عروضاً باعه وربما نقصت قيمته، فالأولى في هذه الحال أن يعطيه مالاً، وكذلك إذا علم أن الفقير لا يحسن التصرف، لسفهٍ أو حمق، أو قد يكون عنده معصية فيستخدم المال في غير ما أحله الله؛ فيكون الأفضل أن يعطيه عروضاً حتى يستخدمها في نفسه وأهله، وقد رجح ابن تيمية في هذا أنه إذا كان ثمة حاجة ومصلحة فإنه يجوز إخراج المال عن العروض.

والقول الثالث: أنه مخيّر بين إخراج المال وبين إخراج العروض، والأفضل هو

الأحظ للفقراء، فإذا كان هذا في زكاة المال، وهي ركن من أركان الإسلام، وفرض بالاتفاق، ووجوبها أظهر وأمرها آكد؛ فأن يكون هذا سائغاً في زكاة الفطر من باب أولى.

وإن كان الذين قالوا بوجوب إخراج الطعام التمسوا بعض الفوائد التي تناسب بعض المجتمعات، فقالوا: لأن هذا فيه إحياء للسنة بشراء الطعام وبيعه وكيله بدلاً من الورق النقدي الذي قد يدسه في يد الفقير ولا يعلم به أحد، ولا يكون لهذه الصدقة نوع من الظهور والشهرة في المجتمع.

والمقصود: أنه يؤخذ من هذا الاستعراض للخلاف عدم التشديد في المسألة، وأن تنتظمها بحبوحة الشريعة في التوسعة.

وقت وجوبها:

صدقة الفطر تجب بالفطر من رمضان؛ ولذا سميت زكاة الفطر، من باب نسبتها إلى سببها، وقد ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق ومالك في رواية عنه إلى أنها تجب بغروب الشمس من ليلة العيد، بينما ذهب أبو حنيفة إلى أنها تجب بطلوع الفجر يوم العيد.

لمن تُعطى صدقة الفطر؟

للعلماء في هذه المسألة قولان:

الأول: أنها تخرج للأصناف الثمانية، وهذا مذهب الجمهور؛ بل قال الشافعية: يجب تقسيمها على الأصناف الثمانية كلهم.

الثاني: أنها خاصة بالفقراء والمساكين، وهو قول الحنابلة، واختيار ابن تيمية وابن القيم، وهو أولى وأوجه، وذلك للنص؛ لأن نبينا محمداً ﷺ قال: «... وطُعمة

للمساكين»[1]، ولأنها صدقة على البدن، فليس فيها سعاة، ولا علاقة لها بالغارمين ولا بغير ذلك، مما يدل على أن مصرفها ليس هو مصرف الزكاة المعروفة - زكاة المال -، فالأولى أن يُقتصر في إخراجها على الفقراء والمساكين.

عمن تخرج صدقة الفطر؟

قول الجمهور أنه يؤديها أولاً عن نفسه، ثم عمن يمونه، فيخرجها عن زوجته وعن ولده وعن والده إذا كان فقيراً تلزمه نفقته؛ لأن الفطرة عندهم تابعة للنفقة.

أما الجنين فلا تجب عليه به صدقة الفطر؛ لكن يستحب إخراجها عنه، خصوصاً إذا كان قد نفخت فيه الروح، وقد جاء عن عثمان ﷺ أنه كان يخرجها عنه، ونقل عن جماعة من الصحابة ﷺ أنها ليست واجبة عليه[2].

وقت وجوب إخراجها:

وقت وجوبها قبل خروج الناس إلى الصلاة؛ لحديث ابن عمر ﷺ: «أن النبي ﷺ أمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة»[3]، وحديث ابن عباس ﷺ وفيه: «من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات»[4]، ولهذا فإن إخراجها بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد إخراج لها في مكانها الصحيح باتفاقهم، وهو مجزئ.

ويجوز أن يُخرجها قبل العيد بيوم أو يومين، وهذا نص عليه ابن عمر ﷺ في

---

(١) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجة (١٨٢٧)، والحاكم في المستدرك (١٥٢٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٤٨١)، والدارقطني في سننه (٢/ ١٣٨)، من حديث ابن عباس ﷺ.

(٢) المغني (٤/ ٣١٦).

(٣) البخاري (١٤٣٣)، ومسلم (٩٨٤).

(٤) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجة (١٨٢٧).

رواية من حديثه[1]؛ لأن هذا قريب من العيد، وقد يكون في تحديد الوقت مشقة على الناس، والفقير إذا جاءته في مثل هذا الوقت سيحتفظ بها إلى وقت العيد، أو قد تكفيه إلى يوم العيد.

أما ما بعد العيد، فلو أخرجها بعد الصلاة فعند الحنابلة تجزيء؛ لكنه يكره، ومذهب الجمهور أنه يجوز إخراجها في يوم العيد ولو بعد الصلاة بلا كراهة.

ومن الأدلة حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة يوم الفطر»[2]، وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «كنا نخرج في عهد رسول الله ﷺ يوم الفطر...» الحديث[3]، وهذا دليل على أن اليوم كله محل للإخراج، فلو أخرجها بعد الصلاة لكان مكروهاً عند الحنابلة، لكنه مجزئ عند البقية، أما لو أخرها بعد يوم العيد فهي صدقة من الصدقات.

وهناك قول بأنها لا تجزئ بعد الصلاة وإنما يخرجها قبل الصلاة، واليوم ينتهي بغروب الشمس؛ لقول ابن عمر رضي الله عنهما: «وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين»[4].

---

(١) البخاري (١٤٤٠).

(٢) هذا اللفظ رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢٤٢٢).

(٣) البخاري (١٤٣٩).

(٤) البخاري (١٤٤٠).

الست من شوال

« من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر »

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر»[1].

وخص شوال بصيام الست؛ لأن وقوعها بعد رمضان بمثابة الراتبة للفريضة.

وفي حديث ثوبان عن النبي ﷺ قال: «صيام رمضان بعشرة أشهر، وصيام الستة أيام بشهرين فذلك صيام السنة يعني رمضان و ستة أيام بعده»[2].

قال ابن رجب في لطائف المعارف: «صححه أبو حاتم الرازي وقال الإمام أحمد: ليس في حديث الرازي أصح منه، و توقف فيه في رواية أخرى »[3].

قال الإمام النووي رحمه الله: «قال العلماء: وإنما كان كصيام الدهر؛ لأنَّ الحسنة بعشر أمثالها، فرمضان بعشرة أشهر، والستة بشهرين»[4].

وفي صيام الست من شوال فضائل:

١- أن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله.

٢- أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة

---

(١) مسلم (١١٦٤)، والترمذي (٧٥٩)، وأبو داود (٢٤٣٣)، وابن ماجة (١٧١٥).

(٢) ابن خزيمة في صحيحه (٢١١٥)، والنسائي في السنن الكبرى (٢٨٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨٢١٦)، والدارمي في سننه (١٧٥٥)، وصححه الألباني.

(٣) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (٢٤٦)

(٤) شرح النووي على مسلم (٨/ ٥٦)

وبعدها، فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من خلل ونقص، فإن الفرائض تكمل بالنوافل يوم القيامة.. وأكثر الناس في صيامه للفرض نقص وخلل، فيحتاج إلى ما يجبره من الأعمال.

٣- أن معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان؛ فإن الله تعالى إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده، كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها؛ كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة؛ كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها.

٤- أن صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب، كما سبق ذكره.

٥- أن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم في يوم الفطر، وهو يوم الجوائز، فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكراً لهذه النعمة، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب، وقد أمر الله ﷻ عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره، وغير ذلك من أنواع شكره، فقال: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة:١٨٥]؛ فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان، وإعانته عليه، ومغفرة ذنوبه: أن يصوم له شكراً عقيب ذلك.

وكان بعض السلف إذا وفق لقيام ليلة من الليالي أصبح في نهارها صائماً، ويجعل صيامه شكراً للتوفيق للقيام.

وكان وهيب بن الورد يسأل عن ثواب شيء من الأعمال كالطواف ونحوه، فيقول: «لا تسألوا عن ثوابه، ولكن سلوا ما الذي على من وفق لهذا العمل من الشكر، للتوفيق والإعانة عليه».

إن كل نعمة على العبد من الله في دين أو دنيا تحتاج إلى شكر عليها، ثم التوفيق للشكر عليها نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان، ثم التوفيق للشكر الثاني نعمة أخرى يحتاج إلى شكر آخر، وهكذا أبداً، فلا يقدر العباد على القيام بشكر النعم، وحقيقة الشكر الاعتراف بالعجز عن الشكر.

حكم صيام الست من شوال:

صيام الست من شوال مستحب، وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق، وهو المروي عن ابن عباس، وكعب الأحبار، وهو قول طاوس والشعبي وميمون بن مهران وابن المبارك.

وقد استدلوا بالأحاديث المتقدمة في فضلها مما رواه مسلم وغيره.

وقد كرهها قوم منهم: مالك، وأبو حنيفة، معللين ذلك بالخوف من اعتقاد فرضيتها لدى العامة، وبأن فيها مشابهة لأهل الكتاب من حيث الزيادة على شهر الصوم المفروض.

ولا وجه لهذا؛ فقد ثبتت السنة بصوم الست من شوال في مسلم وغيره، ولو تركنا السنة خوف الزيادة على الفرض في الصوم لتركنا جميع المندوب من صوم عاشوراء، وأيام البيض، وغير ذلك، وقد قيل: إن مالكاً كان يصومها في خاصة نفسه، وقد كان المتأخرون من الأحناف لا يرون بصيامها بأساً.

قال ابن عبد البر: «لم يبلغ مالكاً حديثُ أبي أيوب، على أنه حديث مدني، والإحاطة بعلم الخاصة لا سبيل إليه، والذي كرهه مالك قد بينه وأوضحه خشية أن يضاف إلى فرض رمضان، وأن يسبق ذلك إلى العامة، وكان متحفظاً كثير الاحتياط للدين، وأما صوم الستة الأيام على طلب الفضل وعلى التأويل الذي جاء به ثوبان،

فإن مالكاً لا يكره ذلك إن شاء الله؛ لأن الصوم جنة، وفضله معلوم، يدع طعامه وشرابه لله، وهو عمل بر وخير، وقد قال تعالى: ﴿ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴾ [الحج:٧٧]، ومالك لا يجهل شيئًا من هذا»[1].

صفة صومها:

١- من العلماء من استحب صومها من ثاني أيام العيد متتابعة، وهو مذهب الشافعي، وقول ابن المبارك.

٢- ومنهم من لم يفرق بين التتابع والتفريق من الشهر كله، وقال: هما سواء، وهو مذهب الإمام أحمد، وقول وكيع.

٣- أنها لا تصام عقب الفطر مباشرة؛ لأنها أيام توسعة وأكل وشرب، وإنما يصام ثلاثة قبل أيام البيض وأيام البيض أو بعدها، وإليه ذهب معمر وعبد الرزاق.

والأمر في ذلك واسع إن شاء الله، ولا تثريب على من فعل أيّاً من الأقوال الثلاثة.

صيام الست لمن عليه قضاء:

اختلف العلماء في صيام الست لمن عليه قضاء؛ فذهبت طائفة إلى أنه لا يتحقق صيام الست إلا بعد القضاء، واستدلوا بحديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»[2]، وظاهره أنه لا يصوم الست من شوال ولا يحصل على فضيلتها وذمته مشغولة بأيام من رمضان أفطرها، فلا يستحق هذا الوصف ويتحصل على الأجر إلا من أكمل رمضان، والذي عليه قضاء لا يكون مكملاً لرمضان.

---

(١) الاستذكار (٣/ ٣٨٠).

(٢) مسلم (١١٦٤)، والترمذي (٧٥٩)، وأبو داود (٢٤٣٣)، وابن ماجة (١٧١٥).

وذهبت طائفة من أهل العلم إلى أن فضيلة صيام الست من شوال حاصلة لمن أفطر رمضان بعذر، قالوا:

إن صيام الست لها خصوصية، وقضاء رمضان موسع فيه، ولا يجب أداؤه في شوال خاصة؛ لقوله تعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٤]، والرسول ﷺ هو الذي قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال..» الحديث، وهو يعلم أن ذمم كثير من الناس قد تكون مشغولة بالقضاء، ومع ذلك لم يشترط في الحديث بأن يقضي أولاً ما عليه.

وعلى هذا فمن كانت ذمته مشغولة بقضاء أيام أفطرها بعذر من رمضان يتسع لها شوال مع صيام الست؛ فهذا يستعين الله، ويشمر لأمر ربه، ويقضي ما عليه، ثم يصوم الست؛ إبراءً لذمته وتحصيلاً للأجر.

ومن كانت ذمته مشغولة بقضاء أيام أفطرها لعذر، ولا يتسع شوال لصيامها مع الست، فهذا ممن حبسه العذر، فيصوم الست أولاً تحصيلاً لفضلها، ثم يقضي؛ فإنه لم يفطر رمضان إلا لعذر، والأدلة كثيرة على تحصيل المعذور للأجر الكامل طالما حبسه عذر، كما في الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم. قالوا: يا رسول الله! وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة، حبسهم العذر»[1].

صيام الست في غير شوال:

صيام الست لها اختصاص بشوال من طريقين:

أحدهما: أن المراد به الرفق بالمكلف؛ لأنه حديث عهد بالصوم فيكون أسهل

(١) البخاري (٤١٦١)، واللفظ له من حديث أنس رضي الله عنه، ومسلم (١٩١١)، من حديث جابر رضي الله عنه.

عليه، ففي ذكر شوال تنبيه على أن صومها في غيره أفضل، هذا الذي حكاه القرافي من المالكية، وهو غريب عجيب!

الثاني: أن المقصود به المبادرة بالعمل وانتهاز الفرصة خشية الفوات، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة:١٤٨]، وقال: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وهذا تعليل طائفة من الشافعية وغيرهم. قالوا: ولا يلزم أن يعطى هذا الفضل لمن صامها في غيره؛ لفوات مصلحة المبادرة والمسارعة المحبوبة لله.

قالوا: وظاهر الحديث مع هذا القول. ومن ساعده الظاهر فقوله أولى.

ولا ريب أنه لا يمكن إلغاء خصوصية شوال، وإلا لم يكن لذكره فائدة.

وقال آخرون: لما كان صوم رمضان لا بد أن يقع فيه نوع تقصير وتفريط وهضم من حقه وواجبه؛ ندب إلى صوم ستة أيام من شوال جابرة له ومسددة لخلل ما عساه أن يقع فيه؛ فجرت هذه الأيام مجرى سنن الصلوات التي يتنفل بها بعدها جابرة ومكملة، وعلى هذا تظهر فائدة اختصاصها بشوال، والله أعلم.

تنبيهات:

١ - اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية عيداً، كشامن شوال الذي يسميه بعض العامة (عيد الأبرار) هو من البدع الباطلة المنكرة التي لم يستحبها السلف ولم يفعلوها، فإن أعياد المسلمين اثنان لا ثالث لهما.

٢ - بعض الناس إذا صام الست من شوال في السنة يظن أنه يجب عليه الصيام في كل سنة، وهذا غير صحيح، فالأمر بالخيار، وفي الأثر: «الصائم المتطوع أمير نفسه، إن شاء صام، وإن شاء أفطر»[1].

---

(١) أحمد (٢٦٩٣٧)، والترمذي (٧٣٢)، والحاكم (١٥٩٩) من حديث أم هانئ رضي الله عنها.

هناك أحاديث شوالية مشتهرة لا تصح منها:

حديث: «من صام رمضان وشوال والأربعاء والخميس دخل الجنة»[1]، رواه أحمد وفيه من لم يُسمّ.

وحديث: «من صام رمضان وأتبعه ستًّا من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[2]، رواه الطبراني في الأوسط، وفيه مسلمة بن علي الخشني، وهو ضعيف.

وحديث: «يكون في رمضان صوت، وفي شوال معمعة، وفي ذي القعدة تتحارب القبائل، وفي ذي الحجة يلتهب الحاج، وفي المحرم ينادي مناد من السماء: ألا إن صفوة الله تعالى من خلقه فلان فاسمعوا له وأطيعوا»[3]، رواه أبو نعيم عن شهر بن حوشب مرسلاً.

---

(١) أحمد (١٦٧٦٠).

(٢) الطبراني في الأوسط (٨٦٢٢).

(٣) كنز العمال (٣٨٧٠٥).

مع العيد

» «ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم»

العيد اسم لكل ما يعتاد، والأعياد شعارات توجد لدى كل الأمم؛ سواء أكانت كتابية أم وثنية أم غير ذلك؛ ذلك أنَّ إقامة الأعياد ترتبط بفطرة طُبع الناس عليها، فكل الناس يحبون أن تكون لهم مناسبات فرح يظهرون فيها السرور، ويتذكرون الماضي.

والكثير من أعياد الأمم الكافرة ترتبط بأمور دنيوية، مثل قيام دولة، أو سقوطها، أو تنصيب حاكم، أو تتويجه، أو زواجه، أو بحلول مناسبة زمانية كفصل الربيع، أو غير ذلك.

كما أن لهم أعيادهم الدينية، فلليهود أعيادهم، وللنصارى أعيادهم الخاصة بهم، فمن أعياد النصارى: العيد الذي يكون في الخميس الذي يزعمون أن المائدة أنزلت فيه على عيسى عليه السلام، وكذلك عيد ميلاد عيسى، وعيد رأس السنة (الكريزمس)، وعيد الشكر، وعيد العطاء... ويحتفلون بها الآن في جميع البلاد الأوربية والأمريكية وغيرها من البلاد التي للنصرانية فيها ظهور؛ وإن لم تكن نصرانية في الأصل، وقد يشاركهم بعض المنتسبين إلى الإسلام فمن حولهم عن جهل، أو عن نفاق.

وللمجوس - كذلك- أعيادهم الخاصة بهم، مثل عيد المهرجان، وعيد النيروز، وغيرهما.

أما المسلمون فليس لهم إلا عيدان: عيد الفطر، وعيد الأضحى. ففي سنن أبي

داود والنسائي بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يحتفلون بعيدين، فقال ﷺ: «كان لكم يومان تلعبون فيهما، وقد أبدلكم الله بهما خيرًا منهما: يوم الفطر، ويوم الأضحى»[1]؛ ولذلك قال الشاعر:

عيدانِ عند أولي النُّهى لا ثالث ... لهما لمن يبغي السلامة في غدِ
الفطر والأضحى، وكلُّ زيادة ... فيها خروجٌ عَنْ سَبِيل محمدِ

قال ذلك ردًّا على الشاعر الذي أضاف عيدًا ثالثًا هو عيد مولد محمد ﷺ في قوله:

المسلمون ثلاثةٌ أعيادُهم ... الفطرُ والأضحى وعيدُ المولدِ
فإذا انتهتْ أعيادُهم فسرورُهم ... لا ينتهي أبدًا بحبِّ محمدِ

وهذان العيدان اللذان شرعهما الله للمسلمين هما من شعائر الإسلام التي ينبغي إحياؤها، وإدراك مقاصدها، واستشعار معانيها.

أحكام العيد:

أولاً: يحرم صوم يومي العيدين؛ لحديث أبي سعيد: «أنَّ النبي ﷺ نهى عن صيام يومين: يوم الفطر، ويوم النحر»[2].

ثانيًا: يشرع الخروج للصلاة، للرجال والنساء؛ لقول أم عطية رضي الله عنها: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى: العواتق[3] والحُيَّض، وذوات الخدور[4]، فأما الحُيَّض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين»[1].

(١) أحمد (١٢٤١٦)، وأبو داود (١١٣٤).

(٢) البخاري (١١٩٧)، ومسلم (٨٢٧).

(٣) العواتق: جمع عاتق، وهي الأنثى أول ما تبلغ، والتي لم تتزوج بعد. انظر: لسان العرب (١٠/ ٢٣٥).

(٤) الخدور: البيوت، وقيل: الخدر: ستر يكون في ناحية البيت. انظر: النهاية (٢/ ١٣).

فما دامت الحُيَّض والعواتق وذوات الخدور قد أُمِرن أن يخرجن لصلاة العيد؛ فلا شك أنَّ من الأولى أن يؤمر الرجال شيبًا وشبابًا بالخروج لها؛ بل قد ذهب بعض أهل العلم إلى وجوب الخروج لصلاة العيد؛ لهذا الحديث، ولغيره من الأدلة؛ كقول الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝ ﴾ [الأعلى:١٤-١٥]، قال بعضهم: المقصود في هذه الآية: صلاة العيد.

ثالثًا: من أحكام العيد أنَّ الصلاة فيه قبل الخطبة، كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر، وأبي سعيد، وابن عباس رضي الله عنهم: «أنَّ النبي ﷺ صلّى قبل الخطبة»[٢].

رابعاً: يستحب للإمام أن يكبر في الصلاة سبعًا في الأولى، وخمسًا في الثانية، فقد ثبت هذا عن جماعة من الصحابة والتابعين؛ كعمر[٣]، وعثمان[٤]، وعلي[٥]، وأبي هريرة[٦]، وابن عباس[٧]، وأبي سعيد الخدري[٨]، وأبي أيوب الأنصاري، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، وغيرهم.

---

(١) البخاري (٩٧٤) ومسلم (٨٩٠) من حديث أم عطية الأنصارية رضي الله عنها.

(٢) حديث ابن عمر أخرجه البخاري (٩٦٣)، ومسلم (٨٨٨)، وحديث أبي سعيد أخرجه البخاري (٩٥٦)، ومسلم (٤٩)، وحديث ابن عباس أخرجه البخاري (٥٨٨٠)، ومسلم (٨٨٤).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٥٧١٨).

(٤) أحمد (٥٤٣).

(٥) البزار (٤٨٧)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٠٣) وقال: لا يروى عن علي إلا بهذا الإسناد، وفيه من لم أعرفه.

(٦) أحمد (٨٤٦٤)، ومالك في الموطأ (٤٣٤).

(٧) ابن أبي شيبة (٥٧٠٤)، والبيهقي في الكبرى (٥٩٧٥).

(٨) ابن أبي شيبة (٥٧٢٠).

وقد ورد في ذلك أحاديث عدَّة عن رسول الله ﷺ من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده[1]، ومن طريق كثير بن عبد الله المزني عن عمرو بن عوف رضي الله عنه[2]؛ لكن كل تلك الأحاديث المرفوعة لا تصح، وإنما ثبت ذلك في آثار موقوفة.

ويجوز أن يكبر الإمام أربع تكبيرات في الركعة الأولى، وأربعًا في الثانية، فقد ثبت هذا عن جماعة من السلف، منهم ابن مسعود رضي الله عنه، كما رواه عنه الفريابي وغيره، وهو مذهب الأحناف.

خامساً: يستحب أن يقرأ الإمام في صلاة العيد بـ«ق» و«اقتربت الساعة»، كما في صحيح مسلم أنَّ عمر رضي الله عنه سأل أبا واقدٍ الليثي: «ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما بـ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ ﴾ [ق:١]، و﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾ [القمر:١]»[3].

وأكثر ما ورد أنه ﷺ كان يقرأ في العيد بـ«سبح» و«الغاشية»، كما كان يقرأ بهما في الجمعة[4].

سادسًا: لا نافلة قبل صلاة العيد ولا بعدها، كما روى الستة عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ خرج يوم العيد، فصلى ركعتين لم يصلِّ قبلهما ولا بعدهما»[5].

إلا إن صلى الناس العيد في المسجد فلابد -حينئذ- من صلاة ركعتين تحيةً للمسجد.

---

(١) أخرجه أحمد (٦٦٤٩)، وأبو داود (١١٥٢).

(٢) الترمذي (٥٣٦)، وابن ماجة (١٢٧٩).

(٣) مسلم (٨٩١).

(٤) مسلم (٨٧٨).

(٥) البخاري (٩٦٤)، ومسلم (٨٨٤).

آداب العيد:

أولاً: الاغتسال قبل الخروج للصلاة، فقد صحَّ في الموطأ وغيره أنَّ عبد الله بن عمر ﷺ كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى[1].

وذكر النووي ﷺ اتفاق العلماء على استحباب الاغتسال لصلاة العيد[2].

والمعنى الذي يستحب بسببه الاغتسال للجمعة وغيرها من الاجتماعات العامة موجود في العيد؛ بل لعله في العيد أوضح.

ثانيًا: أن لا يخرج في عيد الفطر إلى الصلاة حتى يأكل تمرات؛ لما رواه البخاري عن أنس ﷺ «أن النبي ﷺ كان لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات»[3].

وإنما استحب الأكل قبل الخروج مبالغة في النهي عن الصوم في ذلك اليوم.

وأما في عيد الأضحى فإنَّ المستحب هو أن لا يأكل إلا بعد الصلاة من أضحيته.

ثالثًا: التكبير في يوم العيد، قال الله تعالى: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقد نُقِل عن ابن عمر ﷺ من طرق وبأسانيد صحيحة عند البيهقي وابن أبي شيبة: «أنه كان يكبِّر إذا خرج من بيته إلى المصلّى»[4]، وهو الراجح: أن التكبير يبدأ من حين الخروج إلى المصلى، لا من غروب شمس آخر أيام رمضان.

ولقد كان التكبير من حين الخروج من البيت إلى المصلى وإلى دخول الإمام أمرًا

---

(١) الموطأ (٤٢٨).

(٢) المجموع (٢/ ٢٣١).

(٣) البخاري (٩٥٣).

(٤) ابن أبي شيبة (٥٦١٩).

مشهورًا جدًا عند السلف. وقد نقله جماعة من المصنفين؛ كابن أبي شيبة، وعبدالرزاق، والفريابي في كتاب (أحكام العيدين)، عن جماعة من السلف، ومن ذلك أن نافع بن جبير كان يكبر، ويتعجب من عدم تكبير الناس، فيقول: «ألا تكبَّرون؟!»، وكان محمد بن شهاب الزهري يقول: «كان الناس يكبرون منذ يخرجون من بيوتهم حتى يأتوا المصلى وحتى يخرج الإمام، فإذا خرج الإمام سكتوا»[1].

فالخلاصة: أنه يشرع أن يكبر المسلم من حين خروجه من منزله إلى أن يدخل الإمام.

رابعًا: من آداب العيد: التهنئة التي يتبادلها الناس فيما بينهم، أيّاً كان لفظها، مثل قول بعضهم لبعض: عيدكم مبارك، تقبَّل الله منا ومنكم.. وما أشبه ذلك من عبارات التهنئة المباحة.

والتهنئة كانت معروفة عند الصحابة، وقد رخّص فيها أهل العلم، كالإمام أحمد وغيره، وقد ورد ما يدل عليه؛ من مشروعية التهنئة بالمناسبات، وتهنئة الصحابة بعضهم بعضًا عند حصول ما يسُرُّ، مثل أن يتوب الله تعالى على امرئ فيقومون بتهنئته بذلك، إلى غير ذلك. والآثار المنقولة عن الصحابة التي يحتج بها على أنه لا بأس أن يهنئ الناس بعضهم بعضًا بالعيد آثار عديدة.

ولا ريب أن هذه التهنئة من مكارم الأخلاق، ومحاسن المظاهر الاجتماعية بين المسلمين.

خامسًا: التجمل بأحسن الملابس؛ لما روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أخذ عمر رضي الله عنه جبة من إستبرق تباع في السوق، فأخذها فأتى رسول الله ﷺ

---

(١) ابن أبي شيبة (٥٦٢٩).

فقال: يا رسول الله! ابتعْ هذه تجمَّلْ بها للعيد والوفود، فقال له رسول الله ﷺ: «إنما هذه لباس من لا خَلاَق له»[1].

فدل ذلك على أن التجمل للعيد كان معروفًا، وقد أقر النبي ﷺ عمر على التجمل؛ لكنه أنكر عليه شراء هذه الجبة؛ لأنها من حرير.

وعن جابر رضي الله عنه قال: «كان للنبي ﷺ جبَّةٌ يلبسها في العيدين ويوم الجمعة»[2].

وروى البيهقي بسند صحيح: «أن ابن عمر رضي الله عنه كان يلبس في العيدين أحسن ثيابه»[3].

فينبغي للرجل أن يلبس أجمل ما عنده من الثياب عند الخروج للعيد.

أما النساء فيبتعدن عن الزينة إذا خرجن؛ لأنهنَّ منهيات عن إظهار الزينة للرجال الأجانب، وكذلك يحرم على من أرادت الخروج أن تمس الطيب أو تتعرض للرجال بالفتنة، فإنها ما خرجت إلا لعبادة وطاعة.. فهل يصح من مؤمنة أن تعصي من خرجت لطاعته، وتخالف أمره بلبس الضيق والثوب الملون الجذاب اللافت للنظر، أو مسَّ الطيب أو نحوه؟

تنبيهات على بعض المنكرات:

أولاً: بعض الناس يعتقدون مشروعية إحياء ليلة العيد بالصلاة، ويتناقلون في ذلك حديثًا لا يصح، وهو أن «من قام ليلتي العيد محتسبًا لله؛ لم يمتْ قلبه يوم تموتُ القلوب»[4].

---

(١) البخاري (٩٤٨)، ومسلم (٢٠٦٨).

(٢) ابن خزيمة (١٧٦٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٩٣١).

(٣) البيهقي في السنن الكبرى (٥٩٣٨).

(٤) ابن ماجة (١٧٨٢) من حديث بقية بن الوليد عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أبي أمامة رضي الله عنه. قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٦٤٤): إسناده ضعيف لتدليس بقية. اهـ.

وهذا الحديث جاء من طريقين: أحدهما ضعيف، والآخر ضعيف جدًا، فلا يشرع تخصيص ليلة العيد بذلك من بين سائر الليالي، وأما من كان يقوم في سائر الليالي؛ فلا حرج أن يقوم في ليلة العيد، وما جاء عن بعض السلف التابعين من إحياء ليلتي العيد فهذا من الاجتهاد الذي لا يتُابعون عليه مهما كان التعليل لفعلهم، فسنّته ﷺ تُقدَّم على فعل غيره كائناً من كان.

ثانيًا: اختلاط النساء بالرجال في بعض المصليات والشوارع وغيرها، ومن المحزن أن هذا يحدث في أقدس البقاع، في المساجد؛ بل في المسجد الحرام، فإن بعض النساء يخرجن متجمِّلات متعطِّرات، سافرات، متبرجات، ويحدث في المسجد الزحام الشديد؛ وفي ذلك من الفتنة والخطر العظيم ما لا يخفى.

ثالثًا: أنَّ بعض الناس يجتمعون في العيد على الغناء، واللهو المحرم؛ وهذا لا يجوز في العيد ولا غيره، وليس العيد مناسبة لانتهاك المحرمات، ولكنه مناسبة شكر لله وفرح بفضله.

رابعًا: أنَّ بعض الناس يفرحون بالعيد لأنهم تركوا رمضان، وانتهوا من الصيام، وهذا خطأ؛ فإن العيد إنما يفرح به المؤمنون لأنَّ الله تعالى وفقهم لإكمال عدة الشهر وإتمام الصيام، وليس الفرح بسبب إنهاء الصيام الذي يعده بعض الناس عبئًا ثقيلاً عليهم.

فهرس المحتويات

مقدمة..... ٣
مرحبا!..... ٥
كتب عليكم الصيام ١٣
ربَّانيَّة الصَّوم ٢٥
شهر القرآن ٣٥
من أحكام الصيام ٤٧
مـع القيام..... ٥٧
من معاني الصوم ٦٩
الصوم والصحة..... ٧٧
شهر الجود ٨٥
مع الرسول في الصوم ٩٥
الموضوع والضعيف ١٠٣
في الصوم ١٠٣
رمضان والدعاء..... ١١١
شهر الفتوحات ١٢٣
السلف في رمضان..... ١٣٥
أخطاء بعض الصائمين..... ١٤٣
السواك في رمضان..... ١٥٣
شهر التـوبة..... ١٥٩

حسن الخلق ١٧١
الاعتكاف ١٧٩
العشر الأواخر ١٨٩
ليلة القدر ١٩٧
شهر الاستغفار ٢٠٧
شقائق الرجال ٢١٥
العمرة في رمضان ٢٢٣
شهر الحلم ٢٣٥
صيام التطوع ٢٤٧
صدقة الفطر ٢٥٥
الست من شوال ٢٦٥
مع العيد ٢٧٥
فهرس المحتويات ٢٨٥